



و. نبيل فاروق



أدهم !

- ماذا بعد الوداع ؟؟ ...
- لماذا يشعر اقدرى طوال الوقت ، انه لم يفقد بعد رفيقى عمره ...
- (أدهم) و (منى) ؟؟ ...
- هل تتجسس رحلته ، فى البحث عنهما ؟؟ ...
- هل يمكن أن يصل الى ما عجزت عنه أقوى أجهزة المخابرات ، والمنظمات الإجرامية العالمية ؟؟ ...
- وهل يحصل على معاونة ما ؟؟ ... ومن ؟؟ ... وكيف ؟؟ ...
- ومع كل هذا يبقى السؤال الأكثر أهمية أين رجل المستحيل ؟؟ ...
- أين ... (أدهم) ..





رجل المستحيل

(أدوم صبرى) .. ضابط مخابرات مصرى ، يرزى إليه بالرمز (ن - 1) .. حرف (النون) ، يعنى أنه فئة نادرة ، أما الرقم (واحد) فيعنى أنه الأول من نوعه ؛ هذا لأن (أدوم صبرى) رجل من نوع خاص .. فهو يجيد استخدام جميع أنواع الأسلحة ، من المسدس إلى فاذفة القنايل .. وكل فنون القتال ، من المصارعة وحتى التايكوندو .. هذا بالإضافة إلى إجادته التامة لست لغات حية ، وبراعته الفائقة فى استخدام أدوات التنكر و (المكياج) ، وقيادة السيارات والطائرات ، وحتى الغواصات ، إلى جانب مهارات أخرى متعددة .

لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجيد رجل واحد فى سن (أدوم صبرى) كل هذه المهارات ولكن (أدوم صبرى) حقق هذا المستحيل ، واستحق عن جدارة ذلك اللقب الذى أطلقته عليه إدارة المخابرات العامة .. لقب « رجل المستحيل » .

و . نبيل فاروق

1 - الأستاذ ..

على الرغم من أن جميع الحاضرين ، فى تلك القاعة الصغيرة ، من ضباط المخابرات ، الذين التحقوا حديثاً بجهاز المخابرات العامة المصرى ، والذين مازالوا يتلقون تدريباتهم ، على يد خبراء وأساتذة هذا المضمون ، قبل بدء مهامهم الفعلية ، إلا أن حالة من الهرج سالت بينهم ، عندما علموا اسم المحاضر التالى ، الذى ينتظرون وصوله هذه المرة ... كانوا قد التفتوا بعدد لا بأس به ، من خبراء جهاز المخابرات ... وتلقوا محاضرات وتدريبات شتى ... ولكنهم كانوا ينتظرون هذه المحاضرة بالتحديد ... وهذا المحاضر على وجه الخصوص ... فما سمعوه عن صلاحيتها كان مثيراً ... وإلى أقصى حد ... ولقد راح بعضهم يتحدث فى حماس عما سمعوه ، أو عما درسه ، من عمليات شارك فيها المحاضر المنتظر ... وبدأت التهفة على وجوه الجميع ... وأطل الشغب من العيون وخفت القلوب ، و ...

وأخيراً، وصل المحاضر...

فور وصوله، هبط على القاعة فجأة صمت عميق مهيب، وتعلقت كل العيون بذلك المحاضر، الذي دلف إلى المنصة الصغيرة في خطوات هائلة، على الرغم من ذلك الحزن العميق، الذي بدا وكأنه قد الحفر على ملامحه، فلم يعد قبلاً للإزالة...

وعلى عكس كل ما سمعوه عنه، بدا من الواضح أنه قد فقد الكثير من وزنه، وبدا أكبر سنًا مما هو عليه في الواقع، وأكثر رصانة مما يقال عنه...

ونقد استقر خلف المنصة الصغيرة، وأدار عينيه في وجوههم جميعاً، وكأنه يبحث بينها عن وجه بعينه، ثم ارتسم الأسى على ملامحه، وخرج مع نبرات صوته، وهو يبدأ محاضرتَه...

كان يشرح للضباط الجدد، كيف يمكنهم كشف عمليات التزييف والتزوير، مهما بلغت درجة انتقالها، ويعرض عليهم نماذج من هويات رسمية، تم تزويرها في إتقان، و...

"سيد (قدري) ... سمعنا أنك كنت صديقاً للأستاذ..."

فجأة، انطلقت العبارة من وسط الحضور، فتوقفت يد (قدري)، على نوحه العرض، وهو يولى ظهره للضباط الجدد، وبذل جهداً خرافياً؛ تمنع دمه أن تفر من سجن عينيه إلى وجنته، ولاذ بالصمت لحظت، وكلما يفكر في تجاهل العبارة، لولا أن ارتفع صوت آخر، يقول:

- هل تعرف تاريخ الأستاذ كله؟!

كبح (قدري) دمه في صعوبة، واستدار في بضع، يواجه الضباط الشبان، قبل أن يقصم، مجيباً السؤال الأول:

- كنت من أقرب الأصدقاء إليه.
وصمت لحظة؛ ليزدرد غصة في حلقه، قبل أن يضيف:

- وإلى زميلته (منى).

إجابته كانت إيذاناً بتحول مسار المحاضرة تماماً، إذ هتف أحد الضباط في حماس:

- هل كان أسطورياً كما يصفونه؟!

كان الحفظ على تلك الدمعة شاقاً بحق، فأقلتها (قدري)، لتتسلل على وجنتيه بطينة سلخنة، وهو يجيب:

- (أدوم) كان أكثر من أسطورة ... لقد كان رجلاً عظيماً، يؤمن بربه ووطنه، ولا يتردد لحظة، في بذل حياته نفسها، في سبيل الله والوطن ... وفي سبيل كل ما يؤمن به .

سأل ضابط آخر في شفق:

أحقاً أنه هزم كل أجهزة المخابرات العملاقة؟!

صمت (قدري)، ليزدرد غصة أخرى، وهو يجيب في صوت، بدا إلى حد ما مشتتاً:

- تقريباً.

هاتف ثالث:

وماذا عن منظمة (الماфия)؟!

ترك (قدري) قبض دموعه يتساب على وجهه، وهو يقول:

- حياة (أدهم) حافلة بالكثير، ولن يكفي زمن المحاضرة للحديث عنها، ولا عنه ... إنه رجل مخبرات غير عادي، وأسطورة لن تتكرر، وصديق لا يمكن تعويضه أيضاً.

لم يبد القبول على الضبط الشبان، الذين امتلئوا فضولاً لمعرفة المزيد

عن (أدهم صبري)، الذي يقبونه في جهاز المخبرات العامة بلقب

(الأستاذ)، ويطلق عليه أعدائه اسم (رجل المستحيل)، وضليقهم أن يؤجل

(قدري) الحديث عنه إلى وقت لاحق، فهتف أحدهم:

- أرجوك يا سيد (قدري) ... نريد أن نعرف تاريخ الأستاذ، منذ التحاقه

بجهاز المخبرات، وحتى مصرعه، و ...

صرخ (قدري) بقاطعه في غضب:

- (أدهم) لم يموت ...

تبادل الضباط نظرة حائرة متوترة، قبل أن يغمغم أحدهم في حذر:

- ولكن الملفات الرسمية تقول: إنه أصيب إصابة بالغة، بنفس القنبلة،

التي قتلت زميلته (منى توفيق)، في حفل زفافهما.

بدا (قدري) شديد الغضب، وهو يصرخ مكرراً:

- قلت لكم: (أدهم) لم يموت.

ثم غمرت الدموع وجهه، وهو يضيف:

- ولا (منى) كذلك.

ران صمت مهيب على القاعة لحظات، ثم لم يلبث أن تحول إلى همهمات

متداخلة، خرج صوت أحد الضباط من بينهما عالياً، وهو يتسائل:

- معذرة يا سيد (قدري) ... لكن ألدك معلومات مؤكدة بشأن هذا، أم أنها

مجرد آمنيات..

صرخ (قدري)، وقد بدا وكأله قد فقد أعصابه تماماً:

- (أدهم) لم يموت ... و(منى) لم تمت ... من يقول هذا أحق.

قلل ضابط آخر في حذر:

- سيد (قدري) ... مع احترامنا لتاريخهما، فهما مجرد بشر، وكل البشر

يموتون، وإن طال الزمن.

هوى (قدري) بقبضته على المنصة أمامه، وهو يصرخ:

- قلت: إنهما لم يموتا.

حطمت قبضته جهاز الميكروفون الصغير أمامه، وأطارت أجزاءه فيما

حواله، فتراجع بحركة حادة، وكأما أفاقه هذا من انفعاله، وحدث في

الجهاز المحطم بنظرة مذعورة، في حين خيم الصمت التام على القاعة ...

صمت قطعة (قدري)، وهو يقول في صوت أقرب إلى التحجب:

- يبدو أننا سنضطر لتأجيل المحاضرة، إلى وقت آخر.

قالها، والتدفع خارج القاعة، والكل يتابعه ببصره في صمت، تحول بعد

خروجه منها إلى فوضى كلامية عتيفة، ثم يسمع هو حرف واحد منها، وهو يعدو تقريباً، عبر الممر الممتد من القاعة إلى حيث مكاتب القسم الفني، حتى بلغ حجرته، فدفع بابها، ووثب تقريباً داخلها، وأغلق خلفه في قوة، وهو يهتف:

(أدهم) و(منى) ثم يموتا ... إنهما على قيد الحياة ... لابد وأن يكونا على قيد الحياة ...

ثم أجهش ببيكاء حار ...

"خطأ يا (قدري) ..."

قالها مدير المخابرات في صرامة، وهو يشير بيده في غضب، فألحى (قدري) رأسه، وقال في مرارة:

- أعلم أنه من الخطأ أن يفقد المحاضر أعصابه، أثناء تدريب الضباط الجدد يا سيادة الوزير، ولكن ما أن أشار أحدهما إلى أن (أدهم) و(منى) قد لقيا مصرعهما، حتى فقت أعصابي، و ...

قلطعه المدير في غضب:

- وضربت أسوأ مثال للضباط الجدد.

زفر (قدري)، وهو يهز رأسه في أسى، مغمغماً:

- أعترف أن هذا ما حدث.

صمت المدير، منتظماً إليه لحظات في إشفاق، ثم حاول أن يبدو هادئاً، وهو يقول:

- ولكنك تعلم في أعماقك، أنه من المحتمل كثيراً أنهم على حق.

ثم يحر (قدري) جواباً، فتابع المدير في خفوت:

- كلنا نذكر ما حدث في حفل الزفاف.

لم يكن (قدري) يرغب في استعادة تلك الذكرى المؤلمة، إلا أنه ما أن

تحدث المدير عنها وذكرها، حتى انطلق عقله، على الرغم منه يستعيد ما

(أدهم) و(منى) كلنا في أبيه زينتتهما في ذلك اليوم...

وكلت السعادة تغمرهما ...

فأخيراً تحقق حلمهما ... وتزوجا ...

الكل كان فرحاً سعيداً ...

وحالت لحظة كعكة الزفاف ...

وامتلت يد (منى) بالسكين ...

وصرخ (أدهم) محذراً ...

وحاول أن يتفذها ...

ودوى الانفجار (*) ...

وكلت أول مرة في حياته، يتمتع فيها الدموع في عيني (رجل المستحيل).

ولم ينس يومها بيتت شقة ...

مشهد (أدهم)، المغرق بالدماء، وهو يحمل حبيبة عمره إلى سيارته، والدموع تغمر وجهه، ثم ينطلق بها، لا يستطيع أن يفارق ذهنه قط .. ولا لحظة واحدة ...

"الدكتور (أحمد صبرى) قال: إنه رأى أصابع (منى) تتحرك ..."
الدفعة فجأة يقول هذا، وكأنه يحاول أن يتثبت بأخر أمل، فمظ مدير المخابرات شفتيه، وهو يتطلع إليه لحظات فى صمت، قبل أن يقول فى أسف:

- الدكتور (أحمد صبرى) شقيق (أدهم)، هو أيضاً من أكد أن هذا قد يعود إلى بعض ردود الفعل العصبية، التى يمكن أن تحدث عقب الوفاة، مع تأثيرات الطقس، وانخفاض حرارة الجسم.
غمغم (قدرى):

- ولكن أحداً لم يعثر عليهما قط ..

أشار الوزير بيده، قتلًا:

- هذا ليس إيجابياً بنسبة كبيرة، خاصة وأن كل مصادر الأمن الداخلى تم تتوصل حتى إلى سيارة (أدهم)، وكل المظومات تقول: إنه لا هو ولا (منى) غادرا البلاد، عبر أى منفذ رسمى.

قال (قدرى)، متنبهاً بالأمل:

- هذا بعضى أنهما مازالا داخل البلاد ..

قال الوزير فى سرعة:

- أو ...

ثم يتر عبارته دفعة واحدة، وكأنه يخشى إيذاء مشاعر (قدرى)، الذى امتنع وجهه، وهو يتسائل:

- أو ماذا؟!

تردد مدير المخابرات لحظة، قبل أن يحسم أمره، ويقول:

- أعلم أن هذا قد يؤذى مشاعرك كثيراً يا (قدرى)، ولكن قريباً مشتركاً،

من خبرائنا وخبراء الأمن العام، درسوا كل المعطيات، وتوصلوا إلى نتيجة واحدة، تبرر عدم خروج (أدهم) أو (منى) من (مصر)، عبر المنافذ الرسمية، وعدم العثور على سيارتهما فى الوقت ذاته ..

يذا صوت (قدرى) مرتجفاً، وهو يقول:

- وما هى؟!..

تردد مدير المخابرات بضع لحظات، ثم قال:

- أنهم يرقدون فى منطقة ما، فى ...

يتر عبارته ثلثية واحدة، ثم أكتمها بكل الحزم:

- فى قاع التلبل ..

اتلفض جسد (قدرى) فى عطف، وشعر بالدماء تفر من كياه كنه، وفقد

تماماً السيطرة على عقله ونسائه، وهو يندفع قتلًا:

- كلا ..

قال المدير فى حسم:

- هذا ما اتفق عليه الخبراء جميعهم، و ...

صرخ (قدري) فجأة، غير منتبه إلى أنه يجلس أمام مدير المخبرات شخصياً:

- كلا.

تراجع الوزير فى دهشة مستكرة، إلا أن (قدري) تابع فى عصبية بالغة:

(أدهم) و(منى) لم يموتا ... أنا أشعر بهذا ... نقد كنا أعز صديقين لى فى الحياة، ولو أنهما ماتا لشعرت بهذا ... إنهما لم يموتا ... لم يموتا .

والتدفع الحرس الخاص بالوزير إلى مكتبه، مع ارتفاع صراخ (قدري) الذى، وعلى الرغم من سيطرتهم عليه، ظل يصرخ

ويصرخ ...

ويصرخ ...

* * *

شعر طبيب مستشفى (وادي النيل)، التابع لجهاز المخبرات العامة،

بالإشفاق على (قدري)، الذى بدا شديد الحزن والأسى، حتى بعد العقار المهدئ، الذى تم حقنه به، وغمغم وهو يتطلع إليه:

- إنك تحتاج إلى إجازة يا سيد (قدري)، فمن الواضح أنك قد أرهقت نفسك كثيراً، فى الآونة الأخيرة .

حاول (قدري) أن يقول شيئاً ما، إلا أن لسانه وحلقه تم بطاوعه، فاكتملى

بإشارة من يده، جعلت الطبيب يواصل:

- سيادة الوزير وافق على منحك إجازة لمدة أسبوعين، لتنهضة أعصابك، والحصول على بعض الراحة ... صدقتى ... هذا سيفيدك كثيراً.

غمغم (قدري) فى صعوبة:

- وماذا أفعل بالإجازة؟! ... أين أذهب؟! ...

هز الطبيب كتفيه، وقال:

- ابحث عن مكان هادئ، يمكنك فيه الاسترخاء، ومطالعة بعض الكتب، أو ممارسة الصيد .

غمغم (قدري):

- هذا يناسب فصل الصيف، ونحن فى قلب الشتاء.

ابتسم الطبيب، وهو يقول:

- (مصر) دولة كبيرة يا رجل ... تمتد من البحر المتوسط وحتى حدود

(السودان) ... ما رأيك بالسفر إلى (أسوان) ... إنها واحدة من أجمل مدن

العالم، والتيل هناك لا يشبه التيل فى أى مكان آخر، والطبيعة ساحرة،

يعشقها الناس، من كل أنحاء العالم .

مط (قدري) شفتيه، مغمغماً:

- سأفكر فى هذا .

أوما الطبيب برأسه، قللاً:

- نعم ... افعل ولو بالفكرة، فندى أصدقاء هناك، يمكنهم معاونتك

على قضاء إجازة ممتازة.

ثم مال نحوه، مستطرداً ود:

- والآن ما رأيك بوجبة دسمة، خارج وجبات المستشفى التقليدية.

هز (قدري) رأسه نفياً، وغغم:

نست أشعر بأية شهية للطعام.

تراجع الطبيب في حركة، ودهشة كبيرة، وهو يقول:

رباه! ... أنت حقاً تحتاج إلى إجازة.

ثم بدأ في مغادرة الحجرة، وهو يضيف:

سأرسل إليك أرقام أصدقائي هناك ... لا تضيع الفرصة.

زفر (قدري) في نوته، فور مغادرة الطبيب للحجرة، وعلى الرغم من

العقار المهدئ، فقد كان يشعر بنفس الحرارة في أعماقه...

كل الشواهد تقول: إن (أدهم) و(منى) قد لقيا مصرعهما...

ولكنه، في أعماق أعماقه، يشعر أن هذا لم يحدث...

يشعر به شدة...

تري أهو مجرد أمل؟!...

أم أنه شعور حقيقي؟!...

ظل هذا السؤال يتع على ذهنه، حتى بعد أن بدأ إجازته، وأخذ بتوصيحه

طبيب (وادي الليل)، وقرر السفر إلى (أسوان)...

كان قد اختار فندق جزيرة (إيزيس)، وهو فندق في قلب جزيرة نيلية

منعزلة، لا سبيل للوصول إليه بالطرق البرية...

فقط بوساطة (معينة)، تنقل النزلاء منه وإليه طوال الوقت...

كان يحتاج بالفعل إلى مكان هادئ...

وجميل...

ومنذ ليلته الأولى هناك، شعر بالفعل بالهدوء والراحة، وبدأ يعيد التفكير

في كل الأمور على نحو مختلف...

صحيح أنه لا يوجد دليل واحد، على وجود (أدهم) و(منى) على قيد

الحياة...

ولكن لا يوجد أيضاً دليل واحد، على أنهما قد لقيا مصرعهما...

وهذه، بالنسبة إليه، نقطة إيجابية...

تماماً...

ولكن لو أن كل أجهزة الدولة قد فشلت، في العثور على (أدهم) و(منى)،

فكيف يتصور هو أن يفتح في هذا؟!...

كيف؟!...

ظل يفكر في هذا الأمر طويلاً، وهو يجلس في شرفة حجرته، المطلة على

الليل، في تلك البقعة الساحرة، حتى مالت الشمس إلى المغيب، وبدأ الليل

يتسمته الباردة يتسلل إلى المكان...

عندئذ فقط، شعر ببعض الجوع..

لم يكن يشعر بالجوع الشديد كالمسابق، وكما قد فقد شهيته الأسطورية،

مع اختفاء (أدهم) و(منى)...

فقط بالجوع ...

الجوع العادى ...

وفى مطعم الفندق، جلس يتناول طعاماً عادياً بسيطاً، وذهنه منشغل

بالتفكير، عندما انتزعته من أفكاره فجأة صوت مألوف يهتف:

السيد (قدري) ... يالها من مفاجأة !

رفع عينيه إلى مصدر الصوت، فوقع بصره على (سالم) ... مهندس نوبى

الأصل، يقيم بجوار (أدهم) فى (القاهرة)، فنهض يصافحه، قائلاً:

- مفاجأة حقيقية أن نلتقى هنا يا أستاذ (سالم) .

أشار (سالم) بيده، قائلاً:

- المفاجأة لى أنا يا سيد (قدري)؛ فلما أتى إلى هنا كثيراً بحكم نشأتى

وبحكم أن عائلتى مازالت تقيم فى القرية التوبية هنا ... ولكن ماذا

عندك؟! ... أهى إجازة سنوية .

هز (قدري) كتفيه المكتظين، وهو يجيب:

- يمكنك ان تقول : إنها إجازة إجبارية .

مال (سالم) عليه، قائلاً:

- ولكنك ستستمتع كثيراً هنا ... الأستاذ (أدهم) كان دوماً يؤكد أن

(أسوان) بها سحر خاص، وأسرار لم تكشف بعد .

بدا الحزن على وجه (قدري)، وهو يغمغم:

- أه ... كان يقول هذا قديماً .

لوح (سالم) بسبابته، وهم يقول:

- ليس قديماً ... لقد سمعتها منه منذ شهر واحد .

اعتدل (قدري) بحركة حادة، وهو يقول:

- شهر واحد؟! ... ولكن (أدهم) و(منى) ...

لم يستطع إكمال عبارته، فبترها دفعة واحدة، مما جعل (سالم) يبتسم،

وهو يقول:

(منى)؟! ...! اتقصد رفيقه المصلبة ... لقد نقلتها إلى قريتنا، و ...

قبل أن يتم عبارته، اندفعت أصابع (قدري) لتقبض على معصمه فى قوة،

وقلبه يرتجف بين صنوعه فى عنف...

فما سمعه من (سالم) فجر كل انفعالاته ...

إلى درجة عنيفة ..

لتفגיע .

2 - أسوان ..

ارتفع زئير الهاتف، في تلك البقعة الساكنة، وسط جبال (سويسرا)،
فأمنت بد الثوب ناعمة، تلتقط سماعته في رشاقة، قبل أن تقول
صاحبها، في صرامة لا تتفق مع نومتها :
- ماذا هناك؟!

أناها صوت خشن، يقول بالألمانية :
- إنه يبحث عنه بالفعل.

صمتت صاحبة اليد الناعمة لحظات، ربما لتهضم الفعل الآجال بنفسها، قبل
أن تقول بنفس الصرامة، وإن امتزجت بها لمحة من القسوة :
- هذا سيقوده حتماً إلينا.

قال صاحب الصوت الخشن، في غلظة لم يتعمدها:
هل تواصل منابته؟!

أجابته، وقد غلبت قسوتها صرامتها:

- بالتأكيد ... إنه ورقتنا الراحلة ... إما أن يثبت أن عدونا اللبود قد محى
من الوجود، أو يقودنا إليه مباشرة.

قال صاحب الصوت الخشن، في لمحة اعتراضية:

- ولكنك قلت من قبل، إنه لو أراد أن يخطقني، فما من قوة في الأرض

يمكن أن تتوصل إليه!

أجابته في قسوة:

- هذا صحيح ... ولكن عدونا يمتلك نقطة ضعف كبيرة، يمكن أن نقودنا
إليه ..

وقسا صوتها أكثر، وهي تضيف:

- الإسراف في حمالية أصدقائه...

تمتم صاحب الصوت الخشن:

- لست أفهم .

حملت قسوته رنة ثقة سلخرة، وهي تقول:

- ستفهم ... عندما يتعرض صديقه للخطر.

ولكنه لم يفهم ...

أبدأ...

" أعد ما قلته يا رجل..."

هتف (قدري) بالعار، في انفعال جارف، وهو يقبض على معصم (سالم)

في قوة، جعلت هذا الأخير يهتف في ثور:

- سيد (قدري) ... ماذا أصابك؟!

هتف به (قدري):

- اعد ما قلته ... متى رايت (ادهم) و(منى)؟

اجابه (سالم) فى النزاع، وهو يحاول النزاع معصمه من قبضته:

- اخبرتك ان هذا كان منذ شهر تقريبا.

شدت (قدرى) من ضغط يده على معصم (سالم)، وهو يقول فى عصبية:

- (ادهم) و(منى) اخفيا، منذ اربعة اشهر.

هتف (سالم)، وقد بدا انفعاله يتزايد بدورته:

- لست ادري شيئا عن هذا ... لقد رايتهما منذ شهر ...

وفجأة، شرد بصره، وهو يقول فى ارتباك:

- او ربما منذ عام.

ارتفع حنجبا (قدرى) فى دهشة مصدومة، وخف ضغط اصبعه على

معصم (سالم) تلقائيا، وهو يفهم:

- عام؟! ... ولكنت قلت ...

قطعه (سالم)، وهو يقول فى انفعال عجيب:

- كلا ... لقد تذكرت ... كن ذلك بالأمس.

حذق (قدرى) فيه بدهشة كبيرة، وافلت معصمه بتلقائية، فتراجع (سالم)

فى مقعده، وبدا اكثر شرودا، وهو يقول: ولكنت يحدث نفسه:

- او ربما كان هذا صباح اليوم ... لست ادري.

بدا الرجل وكنت يمر بضطراب ذهني عجيب، فتراجع (قدرى) فى مقعده.

وازداد تحديفا فيه بدهشة أكبر، عندما ظهر أحد موظفى الاستقبال، وهو

يقول فى قلق:

- اهذا يا استاذ (سالم) ... انت هنا لتهدأ ... نذكر هذا.

سأل (قدرى) موظف الاستقبال فى ثورته:

- ماذا به؟

اجابه الرجل فى اسف:

- إصابة فيروسية نادرة، انت الى اضطراب فى الذاكرة. اشبه بمرض

(الزهايمر)، ولكنه مؤقت، وهو هنا كجزء من برنامج العلاجى.

تراجع (قدرى) مضطربا، وهو يفهم:

- اضطراب فى الذاكرة؟! ... اتعنى انه لا يستطيع ان يتذكر شيئا؟!

هز موظف الاستقبال راسه، وهو يقول:

- إنه يذكر كل شيء، ولكنه يعجز عن تحديد متى واين حدث الامر.

خاص (قدرى) فى مقعده بخيبة أمل، وهو يحدث فى (سالم) فى اسف...

لقد تصور أنه قد عثر لغيراً على طرف الخيط الذى يمكن أن يقوده إلى

(ادهم) و(منى) ..

تصاعد الأمل فى نفسه ..

ثم هوى فى قاع يأسه ..

شعر بتلك القصة فى حلقه، عندما علون موظف الاستقبال (سالم) على

التوضيح، واصطحبه معه: تهبده إلى حجرته، ولكن (سالم) التفت إليه،

واليسم وهو يقول:

- كان من دواعي سروري ان التقى بك امس يا سيد (قدري) .

امس؟!...

الرجل التقى به منذ اقل من الساعة، وقد هو ذا يتحدث عن الامس!!!...
إليه مصاب بالفعل باضطراب ذاكرة مؤسف...

غاص (قدري) في مقعده اكثر، على الرغم من جسده الضخم، وبدأ شعور
الايأس في نفسه يتعاظم...

ويتعاظم...

و...

" ولكن لا..."

هتف به (قدري)، وهو يعتدل فجأة. على نحو ادesh المحيطين به.

وانتبه هو الى هذا، ولكنه لم يبال، وهو يعتصر ذهنه في الفعل...

موظف الاستقبال قال: ان الاساذ (سالم) يذكر كل شى، ولكن ذهنه يعجز
عن تحديد التوقيتات...

و (سالم) تحدث عن (ادم)...

و(منى) العصبية...

والقرية التوبية...

ووفقا لما قاله موظف الاستقبال، فهذه كلها حقائق...

مع خلل في التوقيتات...

بهض من مقعده بحركة حادة، جذبت إليه الأنظار مرة أخرى، ولكنه أيضا

فى هذه المرة لم يبال، وهو يندفع نحو مكتب الاستقبال، ويسأل احد
موظفيه فى لهفة:

- كيف يمكننى الوصول الى القرية التوبية؟!

اندesh الموظف لللهفة، ولكنه اجاب فى رصانة:

- عند مرسى الجزيرة، ستجد عدداً من القوارب الالهية، اب منها يمكنه
ان يذهب بك الى القرية التوبية. او مطعم (الدوك)، او...

ثم يمهله (قدري) الفرصة ليكمل حديثه، ولما اندفع يغادر مبنى الفندق،

واسرع الحطى نحو مرسى الجزيرة، وقد بدأ مشهده، وهو يهرول بجسده

الضخم. مثيرا للدهشة والمرح، لدى بعض السحجن. ولكنه لم ينتبه الى

هذا، وهو يندفع نحو القوارب الالهية عند المرسى...

ولم ينتبه ايضا الى ذلك المصور الالمانى، الذى وقف امام باب الفندق،

وراح يلتقط له عشرات الصور...

ثم ينتبه الى الكثير...

الكثير جداً...

ارتسمت ابتسامة عجيبة، على ملايح الصينية الحساء (تيا)، وهى تدفع

جهاز الكمبيوتر الصغير الخاص بها، امام صالحية اليد الناعمة، قلقة:

- هذه الصور وصلت من (مصر) الآن، عبر شبكة الانترنت.

ألقت صاحبة اليد الناعمة نظرة متفحصة، على مجموعة الصور، التى

تقل مشاهد (قدري)، وهو يجلس مع (سالم)، ثم وهو يعدو نحو المرسى، ويستقل قارباً من القوارب الأهلية، ثم نوحى بيدها، قائلة:

- عظيم ... كل شيء يسير كما توقعته.
غمضت (نيا):

- مازلت اصر على ان قبلى قد قضت على تلك الفتاة
نوحى صاحبة اليد الناعمة بيدها فى استنكار، فاعتقد حليبا (نيا)، وهى تقول فى حدة:

- لا تلمسى أنفى محترقة .

حمل صوت ذات اليد الناعمة كل قسوتها وصراحتها. وهى تقول:

- لو ارتفع صوتك فى حضرتى مرة اخرى، لن تصلى حتى للعمل فى دار
للمسنين.

يدا التوتر الشديد على (نيا)، وهى تقول:

- هذا الأسلوب لا يروق لى ...

اعتذرت صاحبة اليد الناعمة، وهى نجيبها، فى قسوة مخيفة:

- هذا لائك اعتدت العمل مع (سونيا جرهام) ... ولكن الامور لم تعد كم
كلفت من قبل، وعليك ان تدركى جيداً ان (سونيا جرهام)، التى اعتدت
العمل معها قد لقيت مصرعها، ولن تعود مرة أخرى إلى الوجود.

اعتقد حليبا (نيا) اكثر، دون ان تحاول التعليق، فعابت ذات اليد الناعمة
إلى الاسترخاء، وهى تقول بكل صرامة:

- اجبرى (هاتن) ان يواصل مهمته، وان يوافق بالتفصيل لحظة بلحظة.
وقسا صوتها مرة اخرى، مع اضافتها:

- لن يمكننى ان اهدأ، قبل ان احسم امر (ادهم)، فالأرض لم تعد تحتل
كلنا معاً... ابداً.

والعقد حليبا (نيا) اكثر واكثر...

فما سمعته وراثه، جعلها تدرك انها تتعامل هذه المرة مع زعيمة
مختلفة

زعيمة تمتلئ شراً وحقدًا ...

إلى اقصى حد ممكن

حقق قلب (قدري) فى قوة. عظم توقف به ذلك القارب البسيط عند

مرسى القرية النائية، وسط نيل (اسوان) ...

كان المرسى اسفل مجموعة من السلاكم الحجرية، التى ترتفع لمسافة
كبيرة، حتى مستوى القرية. وعلى الرغم من هذا، ومن جسده الضخم،
فقز (قدري) من القارب فى لهفة، وصعد فى درج السلم العالية، وهو
يلهث فى شدة، حتى بلغ مستوى القرية، فتوقف لاهثاً، يتلفت حوله فى
لهفة، وكلما يتوقع ان يلمح (أدهم) او (مسي)، ثم لم يلبث ان عمق فى
عصية:

- ها التذا هنا يا (قدرى) ... ماذا يمكنك ان تفعل إذن؟!

حار بالفعل فى الخطوة التالية، التى لم يفكر فيها من قبل، ثم لم يجد امامه سوى ان يتجول فى القرية، ويسأل كل من يلتقى به عن رجل وسيم، مشوق القوام، اتى بفناء مصلبة الى المكان، منذ بضعة اشهر ... كانت وسيلة عقيمة، من وجهة نظره، الا انه لم يكن يملك سواها ... ولقد بدأت نفسه تمتلئ باليس. مع الرود السلبية التى تلقاها، وفكر جدياً فى العودة بخفى حنين الى الجزيرة، و ...

"نعم ... اننى أذكر هذا ..."

قائله، صحب ركن صغير، لبيع الاقعة التلوية، فحقق قلب (قدرى) فى قوة، وهو يهتف بمنتهى اللفظة:

- حقاً؟!

كان من الواضح ان الرجل يقتصر ذهنه، وهو يقول فى بطء:

- لقد وصلا مع مغيب الشمس، على عكس كل السالحين، وربما تهذا

اذكرهم ... المرأة كانت تعلى بشدة، حتى ان الرجل حملها على ذراعيه.

وكان مشهده، وهو يصعد فى درجات سلم المرسدة، حاملاً إيها. بكل

الحب والحنان، أشبه بإفلام السينما، و ...

لفظه (قدرى) فى نهفه:

- واين ذهب بها؟!

أشار الرجل بيده إشارة مبهمه، وهو يقول:

- اذكر انهما قضيا اسبوعاً، فى منزل يمتلكه (حامد إبراهيم) .

هتف به (قدرى)، وقد بلغت نهفته مبنقها:

- واين لجد (حامد إبراهيم) هذا؟!

ابتسم الرجل، وهو ينظر الى ما خلف كتف (قدرى)، مجيباً:

- خلفك .

استدار (قدرى) بحركة حادة، ثم تراجع فى دهشة ...

فأواقف خلفه، ينطع إليه فى تساول، كن نفس الرجل، الذى دفعته

كلمته لتقوم الى القرية التلوية ...

كان الأستاذ (سالم) ..

شخص ...

رفع مدير المخابرات المصرية عينيه. مستقبلاً لقبه. الذى نطع الى

بعض الأوراق بين يديه، وهو يقول:

- لقد نفذت ما طلبته يا سيادة الوزير، وطلبت من قسم المتابعة فرزاً لكل

قوائم السفر والوصول. فى كل المنافذ المصرية، خلال الاشهر الاربعة

الماضية.

سأله المدير فى اهتمام:

- والنتيجة؟!

لوح التلب بالأوراق، قاتلا:

الفحص الأولى لم يسفر عن شيء. ولكن قسم المعلومات وجد اسماً واحداً،
في قوائم الوصول، في مطار (الغردقة)، ورد في أحد تقارير عمليات
سيادة العميد (ادم).

سأله المدير، وهو يعتدل على مكتبه، في اهتمام أكبر:
- وما هو؟!

وضع القلب الأوراق امامه، وهو بجيب:

- عجوز فرنسية، تدعى (جوزفين رينه)، ورد في تقرير قديم لسيادة
العميد، انها عالجت التهاباً غير قابل للشفاء في ساقه. عندما أصيب في
(مارسيليا) (*)

اعتدل المدير، هتفاً:

- أه ... تلك الفجيرة الفرنسية... (ن-1) قال: إن لديها وسقل مذهلة
لشفاء الإصابات.

أجلبه القلب بنفس الاهتمام:

- المهم أن تاريخ وصولها إلى (مصر)، هو اليوم التالي لإصابة سيادة
العميد. والرائد (منى توفيق)... والاهم أن تذكره سفره، وتكاليف إقامته
في (مصر)، سددتها مؤسسة (أميجو) في (نيويورك).
تأملت عينا المدير، وهو يقول في الفعل:

(*) راجع قصة (صافقة مارسيليا) .. المفكرة رقم (77).

- مؤسسة (أميجو)، التي يمتلكها (ادم)؟!
لما القلب برأسه إيجاباً، وهو يغمغم:
- بالضبط.

بدأ المدير شديد الانفعال، وهو يتطلع إليه، قبل أن ينهض من خلف
مكتبه، ويتجه نحو النافذة، المظنة على الغناء، ويتطلع عبرها في صمت،
فتساءل القلب في حذر:

- هل تراوينا الفكرة نفسها يا سيادة الوزير؟!
واصل المدير صمته لحظات، ثم التفت إليه، مجيباً:
- لديك تفسير آخر؟!

ثم عاد إلى مكتبه، وهو يضيف:

- (منى) أصيبت إصابة بالغة، وهناك شكوك في انها قد بقيت على قيد
الحياة بعدها، وفي اليوم التالي وصلت (جوزفين) ... او (جوزي)، كما
اسماها (ن-1)، والتي وصفها بان لديها استوىاً مذهلاً، في علاج
الإصابات غير القابلة للشفاء، ومولت رحلتها مؤسسته في (نيويورك)،
فماذا يمكن أن تستتبط من كل هذا؟!

ثم يهر القلب جولياً، فتابع المدير في اهتمام:

- وكما بقيت (جوزي) هذه في (مصر)؟!

أجلبه القلب، مثبراً إلى الأوراق:

- أسبوعاً واحداً يا سيدي، لم يتم تسجيلها خلاله في أي فندق رسمي، ولا

أحد بعث ابن أقامت بالضبط، فيما عدا ليبتها الأخيرة، التي قضتها في أحد الفنادق الفخورة في مدينة (الغردقة)؛ لتستغل الطائرة العتدة إلى (باريس)، فجر اليوم التالي.

عقد المدير حلجبه، وقال:

- وفقاً لما أذكره، لا توجد طائرات تطلع من مطار (الغردقة) إلى (باريس).

في تلك الساعة المبكرة.

أجاب القلب في مرعة:

- إنها طائرة خلسة يا سيادة الوزير.

نوح الوزير بسببته، وهو يقول:

- دعني أضمن .. إنها ملك مؤسسة (اميجو) أيضاً. اليس كذلك؟!

أوما القلب براسه، مجيباً:

- بلى يا سيادة الوزير.

ضرب الوزير سطح مكتبه برأسته، وهو يقول في ضيق:

- كيف فلتنا أمراً كهذا.

أجابه القلب:

- لائنا كنت نتابع قوائم السفر، عبر كل المسافرين سيادة الوزير، وليس

قوائم الوصول.

هز المدير راسه في ضيق، ثم قال في حزم:

- معرفة مصير (ن-1) والوالد (منى). نعلم إذن على أمر واحد.

وانتقد حلجبه، وهو يضيف في صرامة:

- إن نعرض على (جوزفين رينيه) هذه ... وبأى ثمن.

اعتدل القلب، وشد قامته، في وقفة عسكرية اعتادها، وقد بدا له الهم

أخيراً، التقطوا طرف خيط يمكن أن يقودهم إلى (ادهم)...

طرف خيط ..

حقيقى ..

منذ وصل القارب، الذى يقل (هالز جريشن)، رجل ذات اليد الناعمة، إلى

القرية النوبية، حتى حمل آلة التصوير الخاصة به، وراح ينجول في

القرية، بحثاً عن (قدري) ...

كانت الأوامر التي تلقاها، تحتم عليه تعقب كل خطوة يخطوها هذا الأخير.

كل خطوة ...

بلا استثناء ..

ولم يكن العثور على (قدري) سهلاً...

فمع حجمه الضخم. وصغر المساحة السليجية بالقرية، كان أشبه سقعة

من الحبر، على صفحة لصعة البياض ...

ولقد عثر عليه (هالز)، بعد دقيقتين فحسب ...

وفور عثوره عليه، رفع آلة التصوير الخاصة، التي يحملها، وبدأ ينظر

بالتقاط الصور للمكان ...

ولكن آلة التصوير لم تكن آلة عادية ...

لقد كانت مزودة بنوع شديد التطور، من ميكروفونات الليزر يمكنه التقاط الأحاديث الصوتية، من مسافات بعيدة جداً ...

أما عدستها، المصنوعة من زجاج خاص مضغوط، فكانت لديها القدرة على التقاط الصور، عبر مسافة شاسعة، على الرغم من حجمها الصغير، الذى لا يوحى بهذا ...

وبمنتهى الدقة، راح يرصد لقاء (قدري)، مع صاحب ركن الأفعى اللويبة، ويسجل كل حرف ينطقان به ...

وعلى الرغم من درايته المحدودة باللغة العربية، فقد أدرك أن الحديث الذى يتبادلانه، قد أثار اهتمام والتفعل (قدري) بشدة ...

وأدرك أن هذا سيرتبط حتماً بالهدف، الذى يسعى (قدري) لحظه ... وفى اهتمام، غمغم :

- يبدو أن الملكة كانت على حق .

التقطت آلة التصوير ذلك الرجل، الذى يرتدى جنيهاً أبيض ناصعاً، والذى يداً وكفه يسير نحو الرجلين مباشرة ...

ثم رأى صاحب ركن الأفعى يشير إلى الرجل دى الجنيب الأبيض للتصع ...

ورأى (قدري) يلتفت إليه فى انفعال، ثم يتراجع فى دهشة ...

وعندما أدار الرجل وجهه، لم تقل دهشة (هلتز) عن دهشة (قدري) ...

فقد كان هذا هو الرجل نفسه، الذى رصد حديثه مع (قدري) فى الفندق ...

الرجل الذى تركه حظه هناك، والذى يستحيل أن يصل إلى الجزيرة، ويستبدل ثيابه بهذه السرعة!! ...

من المستحيل تماماً!



تراجع (قدري) في دهشة، مقفماً:

- توام؟! ...

وضع (حامد) يده على كتف (قدري) في مؤذة، وهو يقول بنفس الالتهامة:

- ولو أنك صديق لشقيقي وتوامي (سالم)، فأنت صديق لي أيضاً يا سيد ...

نظر إلى (قدري) في تساؤل، فغمغم في توتر:

- (قدري) .. لسمي (قدري) ... ولقد كنت أبحث عنك في الواقع .
قل الرجل في ترحل:

- هل أرسلتك (سالم) إلى؟! ...

أجابه (قدري) في سرعة ولهفة:

- بل أرسلت سؤالك عن (ادهم) و(منى).

بنت دهشة حقرة في عيني (حامد)، فتابع (قدري) بكل التهفة:

- لا عليك من الأسماء ... منذ أربعة أشهر تقريباً، جاء رجل وسيم إلى هنا. وهو يحمل زوجته المصلبة، واستأجر احد منازلهم.
قال (حامد):

- بالطبع ... إنك تقصد السيد (ادموند) وزوجته.

غمغم (قدري) في حذر:

- (ادموند)؟! ...

3 - جوزي ..

" مستحيل!!! ... "

هتف (قدري) بالكلمة، وهو يحدق ذاهلاً، في وجه الرجل الذي امامه، والذي قلل في حيرة:

- ما المستحيل يا استاذ؟! ...

هتف (قدري)، وهو يلوح بذراعيه في انفعال:

- لقد تركتك خلفي في الفندق. فكيف سبقتني إلى هنا، واستبدلت ثيابك بهذه السرعة؟! ...

حمل وجه الرجل كل دهشة الدنيا، وهو يقول:

- فندق؟! ... ولكنني لم أغير القرية منذ اسبوع تقريباً.

هتف (قدري):

- مستحيل! ... لقد كنت تحدث هناك. منذ اقل من ساعة يا استاذ (سالم).
حدق الرجل في وجهه تحفظاً. ثم لم يلبث ان انفجر ضحكاً فجأة، وهو يقول:

- اه ... (سالم) لقد فهمت .

ثم مال نحو (قدري)، مستطرداً بالتهامة ودود:

- صحيح انه امر نادر بين السويين، ولكن (سالم) هو شقيقي التوأم.

اشار (حامد) بيده فى حماس، وهو يقول:

- نعم ... السيد (ادموند صروف) ... ناجر نبتلى، جاء مع زوجته (مارى تومس)؛ نقضاء مرحلة الإستشفاء هنا ... إبنى اذكر هذا جيداً وخفق قلب (قدري) فى قوة ...

(ادموند صروف) و(مارى تومس) ..

(اص) و(حز) ...

(ادهم صبرى) و(منى توفيق) ...

رياه! ... إلهما (ادهم) و(منى) ولا شك ...

الاحرف الاولى من اسميهما، كعادة (ادهم) ...

وبكل نهفته وانفعاله، امسك (قدري) ذراع (حامد)، قفلاً:

- ما رايك لو تدعونى إلى منزلك يا سيد (حامد)!

هتف (حامد) فى ترحل:

- على الترحب والسعة ... اصدقاء شقيقى هم اصحاب الدار، وليسوا

ضيوفاً ... اهلا بك ومرحباً.

سار (قدري) إلى جواره، وهو يقول فى تهفة:

- انظن انه سيلور بيننا حديث طويل ... طويل للغاية.

التقطت آله (هاتز) هذا الحوار من بعيد، وسجنته بكل تفصيله، وعلى

الرغم من قلة درايته بالعربية، فقد غمغم فى اهتمام:

- لا شك فى أن الزعيمة ستحب الإطلاع على هذا فوراً. ودون إبطاء.

"إنه على حق..."

قالت ذات اليد الناعمة فى حزم، وهى تستلقى فى حوض الاستحمام الخاص بها، تطالع ما ارسله إليها (هاتز)، عبر شبكة الانترنت، فتساءلت (نيا)، التى تجلس على مسافة مترين منها:

- انظنين انه طرف خبط!

قالت ذات اليد الناعمة فى حزم:

- ليس لى شك فى هذا.

والتقطت نفساً عميقاً من سيجارتها، قبل ان تضيف:

- لو اتك تعرفين (ادهم صبرى) كم اعرفه، لادركت انه ليس منيع تماماً، كم يتصور بعض خصومه.

ابتسمت (نيا) فى ظفر سلخر، وهى تغمغم:

- أدرك هذا جيداً .. لقد وصلت إليه، وافتتحت حفل زفافه.

اتعدت حلجبا ذات اليد الناعمة، على الرغم من نظرها بآلتها لم تسمع

تعليق الصينية الحسناء، وقالت مواصلة حديثها:

- إنه يمتلك نقاط ضعف عديدة، وبعض العادات النمطية، التى تجعل كشف

أمره آجلاً ليس بالمستحيل.

اعتذرت (نيا)، تستمع إليها فى التيه، فتبهرت وهى تدهش لدخان سيجارتها:

- إنه شديد الضعف تجاه اصدقائه، يمتلى بالكثير من المشاعر الرقيقة،

على الرغم من حياة الخطر التى اعتادها، ولكن نقطة ضعفه الاكبر، هى

انه يصنّ دوماً على استخدام الحرفين الأولين من اسمه، مع كل شخصية ينتحلها (اص) .

التقطت نفساً آخر من سيجارتها، ونفثت الدخان في قوة، قبل ان تلتفت إلى (نيا)، وتبتسم، قلقة:

- اليس هذا امرأ طريفاً؟

هزت (نيا) رأسها، دون ان تجيب، فاستعانت ذات اليد الناعمة صرامتها، وهي تقول:

- اخبري (هلفز) ان ذلك اللقء، في القرية النوبية، يهمنى بشدة، واريد ان اعرف كل حرف ينطقان به ... كل حرف .

واومت (نيا) برأسها، وايض دون ان تجيب، وكلها عمت انه عليها ان تنقل الاوامر إلى (هلفز) فوراً ...

والا ...

* * *

ارتشف (حامد ابراهيم) رشفة، من كوب الشاي الساخن، واغمض عينيه لحظة في استمتاع، ثم عاد لفتحهما، قتلًا:

- السيد (ادموند) كان مصيباً. ولكن إصابته لم تكن بعمق إصابات زوجته .. ثم ان بيبته القوية كانت قادرة على الاحتمال، وتجاوز الإصابات ...

أما هي ...

بنو عيارته، وهو يهز رأسه في اسف، جعل قلب (قدري) يرتجف، وهو يسأل :

- ماذا عنها؟

هز (حامد) رأسه مرة أخرى، وقال:

- كالت قد تلتقت بعض الإسعافات الطبية، التي ربما ساعدت في ان تبقى

على قيد الحياة، ولكن التلف الذي اصاب جسده كان كبيراً ... حتى

شيوخ القرية، ممن لهم خبرة طويلة في شفاء الإصابات، قالوا: ان

نجاتها ستكون اشبه بالمعجزة .

ارتشف رشفة أخرى من الشاي، جعلت (قدري) يتمنى لو يحطم كوب

الشاي، حتى يدفعه إلى الاسترسال، ولكن (حامد) اغلق عينيه لحظة

كعائته، ثم تبع:

- ثم وصلت تلك الفرنسية إلى القرية، وذهب السيد (ادموند) بنفسه

للتلقاها، وذهب معها مباشرة، إلى المنزل الذي استقرت فيه زوجته.

تساءل (قدري) في حيرة:

- ومن تلك الفرنسية؟

هز (حامد) رأسه نفياً، وقال:

- ليست أدري بالتحديد، ولكن السيد (ادموند) كان يعاملها بحترام شديد،

ويحاطبها طوال الوقت باسم (جوزي) .

انقض جسد (قدري) في قوة، وهو بهتف:

- (جوزى) ١٠! ... اهي عجيبة عجوز، قصيرة القامة، ذات عيّن توحيان
بأنها كانت قلّة في شبّها، وتبسم طوال الوقت؟!

رفع (حامد) حاجبيه، وابتسم قتلًا:

- من الواضح أنك تعرفها.

هتف (قدري) بكلّ التهفة:

- اراهن أنها عاجت (منى) ... اعطى (مارى).

بدأ مزيج من الحيرة والاحترام على وجه (حامد)، وهو يقول:

- لم ندر ابدأ كيف فعلت هذا؛ فهي لم تطلب أية عفاير طيبة، أو حتى أى

عشب. مما تستخدمه هنا للتداوى ... فقط قضت ليلتين مع السيد

(الدموند) وزوجته، وبعد ذلك رايّد السيدة (مارى) تخرج على قدميها لأوّل

مرة، ولاحظ الكل أنها بدأت تتماثل للشفاء، وكان السيد (الدموند) شديد

الرفقة، فى التعامل مع المرأتين، قبل أن ترحل (جوزى)، وتخبرهم أنها

ستنتظرهم فى النّهار.

هَبَ (قدري) من مكانه، متسلاً فى تهفة والفعال:

- سنتنظرهما أين؟!

اجلبه (حامد) فى دهشة:

- فى النّهار ... هذا كل ما فاتته.

كان ما فاتته (جوزى) قليلًا ...

ولكن (قدري) فهم منه الكثير ...
والكثير جدًا ...

راجع نائب مدير المخابرات المصرية، كل التقارير الواردة، من مختلف
بلاط العالم، مع المدير نفسه، والذي انصت إليه فى اهتمام، حتى انتهى
من حديثه، ثم سألته:

- وماذا عن عملية (ن-1) ١٠

جذب نائب المدير ورقة صغيرة، وهو يقول:

- كنت الخر هذا للتهلية فى الواقع، بآسيادة الوزير؛ فلقد ابطلت مكتب فى

(مارسيليا)، بضرورة البحث عن (جوزى) هذه، ولقد تولى ثلاثة من

افضل رجالنا هذه المهمة. ولكن مشكلتهم أن سيادة العميد (ادهم) لم يذكر

فى تقريره علنًا وأضاح لها ... كل ماورد عنه هو انها عجيبة عجوز،

متروكة من رجل يدعى (تلبليون) .

مال المدير نحوه، وقال فى صرامة:

- رجال مؤسسة (اميجو) عثروا عليها. فى اقل من اربعة وعشرين

ساعة، وهذا يعنى أن نعث عليها فى وقت أقل.

هزّ نقيه كلمه، وقال:

- المفترض أن سيادة العميد هو من ارشدكم إليها، وهذا يمنحهم نقطة

تفوق.

تراجع المدير في مقعده، وأشار بيده، قائلًا:

- ونحن لدينا ما يكفي من المعلومات ... نعرف ان اسمها (جوزفين).

ومنزوجة من رجل يدعى (تابلين)، وكلاهما من الفجر، والفجر لهم
تجمعات معروفة، في كل مكان في العالم، والعثور عليهم لن يكون عسيراً
... فقط يحتاج إلى بعض الجهد.

أوما التلّيب يرأسه، قائلًا:

- أأ واثق من ان الرجال سيبنون بلاء حسن، في هذا الشأن يا سيادة
الوزير.

التقط مدير المخابرات نفس عميقاً. وتراجع في مقعده، وهو يتساءل
بنفس الاهتمام:

- وماذا عن (قدرى) ؟!

في نفس اللحظة، التي اتى فيها سوائه، كان (هاتز) يقف خارج منزل
(حامد إبراهيم)، وأنه تطلق شعاعاً شديد الدقة من الليزر، يرتطم بجدار
المنزل. ثم يرتد إلى الجهاز الشبيه خرجياً بألة تصوير احترافية كبيرة،
لينقل حديث (قدرى) مع (حامد) ...

وبمنتهى الدقة...

"أين عائلتك يا سيّد (حامد) ؟!..."

أشار (حامد) بيده، وهو يقول مبتسماً:

- في (اسوان) ... زوجتى وابنتى تذهبان معاً، في بداية كل اسبوع؛
لشراء ما يلزم المنزل.

ثم مال نحوه، مستطرداً في مودة حقيقية:

- ولو شرفتني بالبقاء، حتى نهاية اليوم، فسيكون من أنواعى شرفي ان
تظهر لك زوجتى وجبة دسمة، افضل بكثير مما يمكنك تلّوله في (اللوكا)
تتهدّد (قدرى)، وهز رأسه نفياً، وهو يقول:

- لو اننى تلّقت هذا العرض، منذ اربعة اشهر، لسافرت من (القاهرة) إلى
هنا، حتى اعم بمثل هذه الوجبة. ولكن مما يدهشنى انه شخصياً، اننى لم
اعد اشعر بالشهية للطعام، منذ اختفاء (ادهم) و(منى).

بدت حيرة متسائلة. على وجه (حامد). فخرج (قدرى) من جيبه

صورتين، لـ (ادهم) و (منى)، وضعهما امام (حامد)، وهو يقول:

- هذا هو (ادموند)، وهذه هي زوجته (مارى) ... اليس كذلك؟!

حذّق (حامد) في الصورتين تحظّت، ثم رفع إلى (قدرى) وجهه أكثر
حيرة، وهو يجيب:

- إنهما حتى لا يشبهتهما .

تراجع (قدرى) في حركة حادة، وحان دوره ليحذّق في وجه (حامد)

تحظّت. قبل أن يعيد الصورتين إلى جيبه. وهو يقفم في توتر:

- لا يسر... لو اراد (ادهم) ان يتحلل شخصية اخرى، فستعجز امه نفسها
عن تعرفه...

ثم رفع عينيه مرة أخرى إلى (حامد)، مضيقاً في حزم:
ولكن المهم الآن هو العثور على المفتاح ... على (جوزى) ...

"(جوزى)؟!..."

نظقت ذات اليد الناعمة الاسم في بضع مندهش. بعد ان راجعت م ارسنه
(هلقز)، عبر شبكة الانترنت، والتعد حجابها الجميلان، وهي تعصر
ذهنها في تفكير عميق، جعل كلماتها تخرج اكثر بظناً. وهي تستطرد:
- غجرية فرنسية، لديها اساليب مدهشة. في علاج الإصابات. شن معظم
الفجر... هل تعتقدن انها حل اللغز؟!

قالت (تيا)، وهي تعدد حلجبيها في غضب:

- قنبلة (تيا) لا شفاء منها.

القت عليها ذات اليد الناعمة نظرة مستهزئة. وهي تعيد سواها:

- هل يمكن ان تكون تلك الفجرية العجوز، هي التي دأوت إصبعتهما؟!

اجابتها (تيا) في صرامة:

- سمعت بنفسك ذلك التوبي، يقول: إنهم لا يشبهان ذلك المصري

وزوجته.

قالت ذات اليد الناعمة في سخرية:

هذا لأنك لم تتعلمي شيئاً، من قاتلك مع (ادهم).

شدت (تيا) قامتها، وهي تقول:

- اظننى قد تعلمت الكثير، في المخابرات الصينية.

ارتسمت ابتسامة سخرية، على ركن شفوي ذات اليد الناعمة. وهي تغمغم:
- حقاً؟! ...

ثم اضطرت في سرعة، قبل ان تمنح (تيا) فرصة للانفعال:

- غجرية... (مارسيليا)... (جوزى) ... اظنها معطومت كافية.

غمغت (تيا)، دون ان تحاول إخفاء ضيقها:

- بالتأكيد .

التعد حجبا ذات اليد الناعمة. وهي تقول في صرامة مخيفة:

- ماذا تنتظرين إذن؟!

القت عليها (تيا) نظرة باردة، ثم نهضت في حزم؛ لتبدأ مهمة البحث عن

الهدف الجديد...

عن (جوزى) ..

"تسال عن (جوزى) !! ..."

غمغم الشيخ الفجرى العبارة في حذر، وهو يسترخى عند أحد ارفصة

المبدء في (مارسيليا) ، متطلعاً في شك إلى رجل المخابرات المصري.

الذى ملحه ابتسامة ودود، وهو يقول:

- يبدو ان صديقك قد حازت شهرة واسعة، في شفاء الإصابات، حتى ان شبكة التليفزيون، التي اعمل بها، ترغب في اجراء لقاء معها، مقابل مبلغ مفر.

تطلع اليه العجري، في حذر اكثر، وهو يقول:

- ومن اخبرك ان العجري يأتون باللقاءات التليفزيونية ؟

وضع رجل المخبرات المصري يده في جيبه، وهو يقول:

ربما لا، ولكن هناك ما يبالي به الجميع.

التفص العجري، وتراجع في دعر، وهو يثوح بيده، هلتف:

- لا تولني .

اخرج رجل المخبرات المصري يده من جيبه، وهي تحمل رزمة من

اوراق (اليورو)، وهو يقول:

- كنت اعنى التفود.

تطلع العجري الشيخ الى التفود، في سראה واضحة، ومد يده اليها في

حذر، وهو يقول:

- الوصول إلى (جوزي) ليس عسيراً.

ابتسم رجل المخبرات المصري، وهو يبعد رزمة التفود عن يده، قتلًا:

- أعظم هذا- فلقد توصل إليكِ البعض، قبل أربعة أشهر.

اطلع إليه العجري العجور في حيرة، وسقطت فكة السفلى. لتمنحه مظهرًا

أقرب إلى البلاهة، وهو يفهم، مكرًا:

- أربعة أشهر.

عاد رجل المخبرات المصري يميل نحوه، قتلًا، وهو يثوح برزمة التفود:

- لا ريب في انك تذكر هذا ... (جوزي) التي اريدها، هي التي سافرت إلى

(مصر)، منذ أربعة أشهر، و ...

قاطعه العجري الشيخ في عصبية:

- مستحيل! ...

التعد حلجبا رجل المخبرات المصري، وهو يسأله:

- ولماذا مستحيل؟

لاحظ فجأة ان عيني العجري الشيخ قد ارتفعت، ليغير بصره كنفه. وهو

يتطلع إلى شئ ما خلفه، بنظرة امتزجت دهشة، بذعره. فالتفت خلفه في

سرعة، و

وهوت تلك الضربة العظيمة على راسه، في اللحظة نفسها...

كانت الضربة شديدة العنف، دار لها راس رجل المخبرات المصري في

شدة. ولكنه، وعلى الرغم من هذا، حاول ان يتماسك، ويكمل استدراكه

نحو خصمه، ويده تنتزع سدسه، من جراب تحت ابطه. الا انه تلقى

ضربة ثلثية، أكثر عفا، من خصم اخر، فسقط بين خصميه فأفد الوعر...

وهي دعر. اتسعت عينا العجري الشيخ، وهو يحرق في الرجلين، عيطي

المظهر والملامح. واحدهما يقول في خشونة قاسية:

- اشحذ ذاكرتك جيدًا أيها العجري، فستفقد علينا كل حرف، نبادلتك مع

هذا الرجل.

مال الثاني يلتقط رزمة النقود. ويدسها في جيبه، وهو يغتم، مشيراً إلى رجل المخبرات المصري، فأقد الوعي:

- ماذا عنه؟

مط الأثرل شففيه، وقال بنفس الخشونة، وهو يصوب مسدسه إلى الفجري الشيخ المذعور:

- افعل ما يحلو لك.

تالتت عينا الثاني في تلذذ واستمتع، وسحب إبرة مسدسه، وهو يصوب قوته نحو رجل المخبرات المصري فأقد الوعي، و ...

ودوت للرخصة ...

في ميّاء (مارسيليا) ...

يذا لقب مدير المخبرات المصرية متوتراً، عند دخوله مكتب المدير، مع دعا هذا الأخير إلى ان يسأله في قلق:

- ماذا هناك.

أشار اللقب بيده، قتلًا:

- إنها تقارير المتابعة. الخصلة بحالات السفر والوصول اليومية.

اعتدل المدير على مكتبه، وهو يسأل في اهتمام:

- هل من جديد؟

وصع اللقب تقريره، امام مدير المخبرات، وهو يقول:

- في ساعة مبكرة من صباح اليوم، استقل ادهم الطائرة، المتجهة إلى (باريس).

التقى المدير نظرة على الاسم، الوارد في التقرير، وارتفع حاجباه في دهشة، وهو يغتم:

- (قدري)؟

اوما اللقب براسه إيجاباً، وهو يقول في حذر:

- السيد (قدري) بهذا قد خالف القتلون، الذي يحتم على كل من يعمل في جهاز المخبرات ان يحصل على موافقة مسبقة، قبل السفر خارج البلاد.

غمغم المدير، في تفكير عميق:

- (قدري) لم يرتكب مخالفة واحدة، منذ انضم إلينا.

قال اللقب في حذر، وهو يريح التقرير، ليبرر ورقة اخرى:

- الواقع سيادة الوزير، ان السيد (قدري) لا يلتزم تماماً بالقواعد، ولا ...

قطعه المدير في حزم:

- (قدري) شخص يصعب تهويته.

ثم رفع سبيلته، وهو يضيف:

- ولو أننا طيف عليه قتلون السفر خارج البلاد بدون إذن، فسيصطر

لنطبق القانون نفسه على (ن-1)، إذا ما ثبت أنه على قيد الحياة.

انفقد حجب القلب، في عدم الاقتناع، فنهض الوزير من خلف مكتبه، ووضع يده على كتفه، وهو بضيق:

- وأنت تعلم مثلي، أن عمل أي جهاز مخبرات لنجح في العالم، لا ينبغي أن يتقيد بقواعد وإجراءات جامدة ثابتة، وإن المرونة في التعامل، هي سر نجاح أجهزة المخبرات.

رَبَّتْ على كتف نائبه مرتين، قبل أن يعود إلى مكتبه، متابعاً:

- و(قدري) مثل (ن-1) تمام ... فوق الشبهات ... وكلاهما يصعب تعويضه، ومن الخط خسارته، فقط لنطبق اللوائح والقوانين بنصها.

وافقه القلب بإيماءة من راسه، قبل أن يقول:

- إنني اتفق معك تماماً ب سيادة الوزير، ولكن الواقع الذي أشعر بالقلق

الشديد على السيد (قدري)؛ فسفره إلى (باريس)، يعني أنه قد التقط

بوسيلة ما، نفس طرف الخيط الذي التقطته، ويسعى بدوره للبحث عن

(جوزي)، وهذا يمثل بالغ الخطر عليه.

صمت لحظة، تأكد فيها من أن مخاوفه قد بلغت المدير. قبل أن يتبع في ببطء:

- وكماشرت سيافتك من قبل. فالسيد (قدري) موهبة، يصعب تعويضها.

تطلع إليه المدير لحظة. وهو يزن كل شيء في ذهنه، ثم اعتدل قليلاً في

حزم:

- أبلغ مكتبتي في (باريس) بموعد طقرة (قدري)، وأخبرهم أنه سيتوجه

مباشرة على الأرجح، إلى (مارسيليا) ... اطلب منهم، ألا يلتقوا به

رسمياً، بل يكتفون بمناقبته، ومعرفة ما يتوصل إليه.

سأله القلب في حيرة:

- ولماذا لا يتعاونون معه أو يتعاون معهم يا سيدي؟!

تراجع المدير في مقعده، وأرتمت على ركن شفتيه ابتسامة غامضة:

- لأن هذا قد يفسد الخط.

ارتفع حاجبا القلب في دهشة وحيرة، ولكنه، وكما يقتضي العمل في

المخابرات، لم يحاول أن يسأل ...

أبدأ ...

ولكن في نفس اللحظة، التي كان يدير فيها الأمر في راسه، محاولاً فهمه

أو استيعابه، كان رجل المخابرات المصري يستعيد وعيه في ببطء، على

أحد أرصفة ميناء (مارسيليا) ..

وفي توتر متهاك. غمغم:

- أنا حقاً على قيد الحياة أم ؟!

قبل أن يتم تسلوته، فتح عينيه، ينظر إلى ما حوله ...

واتسعت عيناه في دهشة كبيرة ...

وخفق قلبه في قوة ...

فما راه من حوله، كان اخر شى يمكن ان يخطر بباله...
على الإطلاق.



4 - غموض ..

" لقد التقيت فى القرية النوبية المصرية ... اليس كذلك؟!..."
ابتسم (هاتز) ابتسامة عريضة، وهو يلقى هذا السؤال على (قدري)، فى
الطائرة التى نقلهما مع الى (باريس)، فالتفت اليه (قدري) فى تساول،
قبل أن يقول فى حذر:
- كنت تلتقط بعض الصور هناك، حسبما اذكر.
اجابه (هاتز)، فى حمال مصطنع:
- بالضبط .
ثم اضاف، وهو يمد يده اليه :
- (هاتز جريشن) ... اعمل كمصور محترف. مجلة (ناشيونال
جيوغرافيك) الامريكية .
صافحه (قدري)، وهو يجيب بنفس الحذر:
- (قدري) ... فنان من (مصر)
واصل (هاتز). بنفس الحمال المصطنع:
- انى ... انى ... انى ... التى التقى فيها قتلأ مصرياً فى امر
محال تخصصت اذن؟!
اجابه (قدري) فى اقتضاب، محاولاً إنهاء الحديث:

- أن الخط.

حاول (هاتز) مواصلة الحديث، وهو يقول:

- انرى انه فن مناسب لهذا العصر، بعد ابداعات الكمبيوتر فى هذا المجال؟

اجاب (قدري) بنفس الاقتضاب، وهو يثيخ بوجهه نحو النافذة:-
- نعم.

ادرك (هاتز) ان (قدري) لا ينوى مواصلة الحديث، فربت على كتفه،
قتلا:

- سعيد بقلقتك يا سيد (قدري).

ثم اعتدل فى جلسته. مخفب ابتسامة ظافرة على شففيه ...

تقد آدى لوره بنجاح، وغرس ذلك اللبوس الدقيق فى ستره (قدري) ...
فعبّر ذلك الجهاز الالكترونى بالغ الدقة فيه، اصبح من الممكن تغب

(قدري)، وسماع كل أحاديثه، فى أى مكان إليه ...

ايأ كن ...

* * *

ثم يصدق رجل المخابرات المصرى ما رآته عينه، عند استعاد وعيه،

على ذلك الرصيف الهادئ، فى ميناء مارسيليا ...

نقد تلقى صريخين، فقد على إثرهما وعيه، وكان من الطبيعى أن يسيطر

مهاجميه على الموقف كله...

ولكن ما يراه كان يوحى بالعكس تماماً ...

ذلك الشيخ الفجرى كان يجلس فى موضعه كم هو، وإن ارتسمت على
وجهه علامات دهشة وفزع واضحة ...

وعلى بعد خطوات منه، سقط رجل فاقد الوعي ...

وعلى مسافة ثلاثة أمتار، سقط رجل آخر، فى الوضع نفسه ...

وفى دهشة، نهض رجل المخابرات المصرى، يسأل الشيخ الفجرى:

- ماذا حدث؟!

اجبه الرجل، فى ذهول عجيب:

- إله الفجر.

اتخذ حجب رجل المخابرات المصرى، مع غراية الإجابة، وهو يقول فى
نوتر:

- لا يوجد إله للفجر، وإله تغير هم يا رجل ... هناك إله واحد لتكون كله.

مال الشيخ نحوه، وهو يقول بنفس الدهول:

- ولكلى رأيته ... هبط ليلقذك وينقننى.

سأله رجل المخابرات فى صرامة:

- ماذا حدث بالضبط يا رجل؟!

قلب الشيخ كفيه عدة مرات، قبل ان يشير إلى احد الرجلين فاقدين

الوعي، قللا:

- كان هذا بصوب سلاحه إلى، أما الآخر، فكان يهيم بإطلاق النار على راسك، عندما هبط هو عليهما كصاعقة اجتثها السماء.

بدت الحيرة على وجه رجل المخابرات المصري، وهو ينقل بصره بين الرجلين فأقضى الوعي، في حين تابع الشيخ، وكأنه يصف مشهداً استورياً:

- ثم نستطيع عيذى متبعة ما حدث ... لقد حاولا المقاومة، ولكنه اطح بهم بسرعة مذهلة، وبقبضتين أشبه بالقبائل، ثم ألحقى بهما بفحصك، قبل أن يتسم في وجهي، قتلًا "جوزي ترسل تحياتي..."

عاد رجل المخابرات المصري يعقد حاجبيه. وهو يفهم:

- (جوزي)؟!

رفع الشيخ يده إلى اعلى، وهو يقول في خشوع:

- هي أرسلته ... مازالت ترعقا، كما كلفت تفعل وهي بيننا.

قال رجل المخابرات المصري في عصبية:

- ماذا تقول يا رجل؟! ... أنت أفهم شيئاً مما تعنيه!

خفض الشيخ بصره إليه، وقال:

- (جوزي) كلفت تدويناً دوماً، ولا تتردد في الانتقال من مكان إلى آخر، استجابة لمن يطلبها.

سأله رجل المخابرات في اهتمام:

- كما سافرت إلى (مصر)؟! ...

حدث الشيخ في وجهه تحولات، قبل أن يلوح بيده، قتلًا:

- (جوزي) ثم نسافر إلى خارج (فرنسا)، حتى آخر يوم في حياتها.

امتزجت الدهشة بالتوتر، في ملامح رجل المخابرات المصري، وهو يقول:

- ما الذي تعنيه بالضبط يا رجل؟!

عاد الشيخ يميل نحوه، وهو يقول:

- (جوزي) ثم تعد بيتنا ... لقد فاضت روحها، منذ ما يزيد عن العام ...

وترجع رجل المخابرات المصري في حركة حادة ...

فم يقول ذلك الشيخ ثم يكن يتفق مع كل ما لديه من معلومات ...

على الإطلاق ...

"مستحيل! ..."

هتف منير المخابرات المصرية بالكلمة في ذهول. عندما قرا عليه ثقبه

تلك الترقية العاجلة، التي وصلت من (مارسيليا). والتقطها من يده

يطالعها بنفسه مرة أخرى، قبل أن يقول:

- ماذا إذن عما لدينا من معلومات؟! ... وماذا عن قوائم الوصول، التي

تحمل بيانات جواز سفرها ...

أجابه عليه في تردد:

- البيئات تحمل اسم (جوزفين نابليون) وصورة امرأة عجوز. مع مراعاة ان احداً منا لا يعرف فعليا كيف تبدو ... سيادة العميد وحده رأها. ولم يرها احد منا .

التقد حلجا المدير، وهو يقول:

- وماذا عن قاعدة البيئات الفرنسية؟^{١٠}

اجابه على الفور، وكلمه كان ينتظر السؤال:

- السفارة الفرنسية تعاونت معنا كثيراً في هذا الشأن، وعلمت انه توجد اثنتى عشرة امرأة فرنسية، تجاوزت السبعين من عمرها، وتحمل الاسم نفسه، وتلك التى توافقت ببيئاتها، مع بيئات جواز السفر لثدي، لا تلتصق فعلى لعالم الفجر، بل هى زوجة لتاجر نبيذ قديم فى (ليل).

تراجع مدير المخبرات فى مقعده، وقد ازداد العقد حجبته، وراح يفكر فيما سمعه فى اهتمام شديد، فى حين ابرز ثقبه ورقة اخرى، وهو يقول:

- لم يكن هذا وحده ما وردنا من (مارسليا)، فرجلنا هناك تعرض لهجوم مجهول، والتقارير الذى ارسله، يحوى تفصيل مثيرة للاهتمام.

وضع الورقة امام المدير. الذى التهمه بعثيه فى سرعة، ثم اعتدل فى حركة حادة، وهو يقول بكل الانفعال:

- ما الذى يهيه هذا ؟؟

شمغم ثقبه فى صدر:

- القتال الذى وصفه ذلك العجوز الشيخ، يشبه كثيراً أسلوب ..

قائمه المدير بنفس الافعال، مكمل:

- (ن-1) .

اوما التقلب براسه إجلجاً، مضطماً:

- بالضبط

التفت نظراتهما، حاملة نفس الدهشة الحقة، والتى التفت على ان ما

يحدث هو بالفعل غامض وعجيب ...

لتغلية ...

فجأة، وعلى الرغم من الخطط التى رسمها فى ذهنه، طوال رحلته، من

(القاهرة) الى (باريس)، شعر (قدري) بحيرة كبيرة، وهو يقف خارج

مطار (أورلى) ...

تقد قادم مجلس البحث عن (ادهم) و(منى) الى هنا ...

فب هى الخطوة التالية^{١١} ..

وقف مرتكاً، حاملاً حقيبته الصغيرة، يتلفت حوله فى حيرة، عندما سمع

صوت (هتاز) من خلفه يقول:

- سيد (قادر) ... هل تحب ان اوصلك الى اى مكان؟^{١٢}

التقد حاجبى (قدري)، وهو يقول:

- (قدري) ... اسمى (قدري)، وأشكرك ... لدى خطط قد لا تتفق مع

مسارك.

حجب (هاتز) البسامة سالخرة في اعماقه، وهو يتنوح بيده، قائلا:

- فليكن ... اتصم ان بجمعا لقاء اخر، ايها الفنان المصري.

اجابه (قدرى) بإيماءة خفيفة مقتضبة من راسه، قبل ان يشيح بوجهه،

مفمغ:

- والان ماذا عليك ان تفعل يا (قدرى)؟! ... هل تستقل القطار مباشرة الى

(مارسيليا)، أم ...

قلطعه صوت يتحدث إليه بالإسبانية، في حماس شديد، فالتفت الى رجل

خمري البشرة، كث الحجبين، كثيف الشعر، راح يتنوح له ببديه، وهو

يواصل حديثه بالإسبانية بنفس الحماس، فلتفت حجبى (قدرى) - وهو

يقول:

- لست افهم الإسبانية يا رجل.

قالتها بالفرنسية، التي يجدها الى حد كبير، فارتفع حلجبي الرجل الكثنين،

وهو يقول:

- عجباً ... لقد بدوت لى اسبانيا يا مسيو ...

اشاح (قدرى) بوجهه، وهو يفمغ:

- كلا ... لست كذلك.

قال الرجل في مرج:

- ولكنك تجيد الفرنسية، وهذا يجعل الامور ايسر.

عاد (قدرى) يلتفت إليه، مستائلا:

- اية امور؟! ...

اشار الرجل الى سيارة من سيارات الأجرة، تقف على مقربة. وهو يقول:

- انت تبحث عن تكسى .. اليس كذلك؟! ... انا (ريو) ... ملك سائقى

التاكسى فى (باريس) ... اخبرنى فقط اين تريد الذهاب، وسنجد الملك

رهن اشارتك.

عاد (قدرى) يشيح بوجهه، قائلا:

- لست أظن هذا ... لن اذهب فعطى الى اى مكان فى (باريس).

هتف (ريو) فى حماس:

- وماذا فى هذا؟! ... الملك سيقط رهن اشارتك ... هل ترغب فى الذهاب

الى (كاثيه) (ليل)؟! ...

التفت إليه (قدرى)، يتأمله لحظت، قبل ان يقول فى حذر:

- وماذا عن (مارسيليا)؟! ...

يدا (ريو) مسرعا، وهو يتنوح ببديه، هاتفا:

- (مارسيليا) ... عروس البحر .. كم سيسعدنى ان افكك اليها يا مسيو.

ثم مال نحوه فجأة، مستدركا فى حذر:

- لو أنك ستعامل يسخاء بالطبع.

احليه (قدرى)، وهو يتأمله مرة اخرى. فى اهتمام شديد:

- سنحصل على كل ما نبتغيه.

هاتف (ريو)، بنفس الأسلوب المسرحي:

- عظيم ... (ريو) سينطلق بك إلى الجنة لو اردت، مادميت بهذا السخاء.

ثم ينبه (قدري) لعبارة الاحيرة، وهو يعود تأمله بكل الدقة ..

بشرة خمرية ..

حاجبان كثن ..

شعر كثيف ...

اووقف تفكيره دفعة واحدة، وهو يعتدل في وقفته، ويقول في بطء، متابعاً

(ريو)، وهو يحمل حقيقته الصغيرة إلى السيارة:

- هل سنتطلق فوراً يا (ادهم)؟!

ضغط حروف اسم (ادهم) في قوة: فتوقف (ريو) دفعة واحدة، واستدار

إليه في بطء...

والتفت عيونهما ...

مباشرة ...

* * *

" لن يكون الأمر أبداً بهذه السهولة ... "

قالتها ذات اليد الناعمة، في هدوء وأثق. جعل (تيا) تعقد حاجبيها، قلقة،

في شيء من الحدة:

- ولن يكون مستحيلاً أيضاً ... الرجال نوصّلوا إلى شيخ عجوز، يقال أنه

كان اقرب صديق له (جوزي) هذه، ولكنهم تعرضوا لهجوم غيف، أفقدهم

الوعي، وعندما استعادوا وعيهم، لم يجدوا له انى اثر.

مطت ذات اليد الناعمة شففيها في ازدياء مستلكر، وهي تقول:

- اغيباء ..

ثم استطرقت في حزم:

- ولكنني كنت واثقة منذ البداية، ان العثور على (ادهم) وزوجته، لن

يكون بالامر السهل؛ لأننا نعمل مع محترف من طراز متميز جداً، يجيد

التحال اية شخصية يريد ها، ولديه سعة حيلة، تكاد تكون مذهلة.

قالت (تيا)، في سخرية عصبية:

- تتحشّين عنه. كم لو كان اسطورة.

اجابتها في حزم:

- إنه كذلك بالفعل.

بدا الغضب على وجه (تيا)، وهي تقول:

- لو انه كذلك، لم امكثي الوصول إلى قلب حفل زفافه، و ...

قطعتها في صرامة:

- هل ستواصل الحديث عن انتصارك هذا إلى الابد؟!

أشاحت (تيا) بوجهها في غضب محقق، تجهلته ذات اليد الناعمة تماماً.

وهي تضغط زراً إلى جوارها، قلقة:

- دعنا نسمع أولاً إلى إذا عثا المحطبة الخاصة.

مع ضغطة الزر، انبعث صوت (قدري)، وهو يقول:

- هل سنطلق فوراً يا ... (ادهم)؟!

التفت حاجب (نيا) في شدة، في حين اعتدلت ذات اليد الناعمة في حركة حادة، هائلة في الفعل:

- (ادهم)؟!

غمضت (نيا)، في الفعل ممثلاً:

- إذن فهو حي بالفعل.

مضت لحظات من الصمت، قبل ان ينقل جهاز الاتصال الدقيق، في سكرة

(قدري)، صوت (ريو)، وهو يقول في حيرة:

- لم أفهم عبارتك جيداً يا مسيو .

اجابه (قدري) في هدوء، باللغة العربية:

- تتكلم لم يحدثنى يا صديقي.

وحيث يجرى هذا الحوار، بنت حيرة أكبر، على وجه (ريو)، وهو يسأل

في تردد:

- اللغة عبرية هذه؟!

مال (قدري) نحوه، وابتمس وهو يهمس بالعربية:

- فليكن ... سحافظ على سريه هويتك هنا. ولكن عندما نكون وحدنا ...

تر عبارته دفعة واحدة. مع ذلك المزيج من الدهشة والتوتر والحيرة،

والذى بدا طبيعياً تماماً، وهو يرسم على وجه السائق الفرنسي. فحدث

فيه (قدري) لحظة، وهو يقف متوتراً:

- رباه! ... هل ...

مرة اخرى لم يتم عبارته، وهو يمد يده في حذر، ليجنب شعر (ريو)

الكثيف، فقلقه هذا الأخير في الم، وتراجع هتافاً:

- مسيو ؟!

وتراجع (قدري) ايض في عصبية، عندما بدا له من الواضح ان الشعر

طبيعى للغاية، وحذق في حاجبي (ريو) الكثين، وهو يغتم بالفرنسية:

- معذرة، ولكنني تصورت لحظة أن ...

مرة ثالثة لم يكمل عبارته، فسأله (ريو) في حذر:

- ان ماذا يا مسيو؟!

واصل (قدري) التحقيق فيه لحظة، قبل ان ينوح بيده، قلقاً:

- أن هذا الشعر مستعار! فلما خبير في تصفيف الشعر، ولم أريوما شعرا

بهذه الكثافة.

اعتدل (ريو)، وهو يجنب شعره في قوة، قلقاً في زهو:

- إنه إرث عائلتي يا مسيو ... والذى وجدى مازالا يتمتعان بشعر كثيف.

في هذه المرحلة من العمر.

أشار (قدري) إلى حاجبيه، متسللاً في حذر:

- والحاجبان الكثان أيضاً؟!

مال (ريو) نحوه، وهو يجنب أحد حاجبيه الكثين، قلقاً في افتخار:

- إنها سمات الملوك يا مسيو.

اوها (قدري) براسه فى يلى، مغمقما:

- بالتاكيد .

نطلع اليه (ريو) لحظت فى حيرة، قبل ان يشير الى السيارة، قتلنا:

- هل نطلق الى (مارسيليا) مباشرة، ام انك تفضل تلالو افضل حساء

ضفادع، فى (باريس) أولا.

زفر (قدري)، وهو يشعر بحالة الإحباط التى تعقب لوم تصوّر المرء انه

قد حسم مشكلة كبيرة، ثم تبين انه خطاه، وقال فى ضيق:

- الى (مارسيليا)... الطعام يمكن ان ينتظر .

رفعت ذات اليد الداعمة عينيها الى (نيا). عندما بلغ الحوار هذه المرحلة.

فكانت هذه الاخيرة فى توتر:

- هل ما سمعناه هو الحقيقة، ام انهما يعثان بنا؟!!

اتعتقد حلجيا ذات اليد الداعمة، وهى تقول:

- لا يمكن حسم مثل هذا الأمر، غير اصواتهما فحسب.

ثم اكتسب صوتها بالصراخ، وهى تضيف:

- فليبحث الرجال، فى قاعدة التيلتات الفرنسية، عن سلق من اصول

لاتينييه، يحمل اسم (ريو)، وله هذه المواصفات.

نهضت (نيا)، قلقة فى حزم:

- سأفعل هذا بنفسى فوراً.

اشارت ذات اليد الداعمة بسجلتها، قلقة بكل صرامة:

- كلا .

التفتت اليه (نيا) فى تساؤل، فضافت فى حزم:

- الرجال سيفعلون ... اما انت، فلديك مهمة اخرى، تناسب مواهبك

وخبراتك القديمة.

غمضت (نيا):

- اية مهمة.

مالت ذات اليد الداعمة نحوها، وهى تجيب بكل العزم:

- مهمة فرنسية.

وكان هذا يعنى دخول طرف جديد، فى سباق البحث عن بطل...

طرف شديد الخطورة...

تلغية...

* * *

شدّ رجل المخابرات المصرى فى (مارسيليا) قامته، وهو يقف امام مدير

مكتب المخابرات فى (باريس). وهذا الاخير يسأله فى اهتمام:

- وكيف توصتم الى ذلك الشيخ الفجرى بالضغط؟!!

اجابه رجل المخابرات المصرى على الفور:

- تحريقتا حول (جوى). لم نسمع إلا عن صداقتها الكبيرة لذلك الشيخ.

الذى يستقر دوماً على رصيف ذلك الميناء التجارى فى (مارسيليا)، وكان من الطبيعى ان اذهب اليه.

عقد مدير مكتب مخابرات (باريس) حجبىه، وهو يقول:

- لو ان التحريات لا تقود لسواه، فهذا يفسر لماذا سعى مهاجميك ايضا اليه.

وصمت لحظة، ثم اضف فى حزم:

- ولكنه لا يفسر بحثهم عن (جوزى)، فى هذا التوقيت بالذات !

قال ضليط المخابرات المصرى فى بطء:

- اخشى ان هذا قد يعنى وجود تسرب فى المعلومات ب سيدى.

عقد مدير المخابرات فى (باريس) حجبىه اكثر، وهو يقول:

- تسرب المعلومات من الجهاز امر مستبعد للغاية.

هز ضليط المخابرات كتفيه، وقال:

- ليس من الضرورى ان يتلى التسرب من الجهاز: فالسيد (قدرى) ثم

يت الى (فرنسا)، كما ابغضت. الا لو انه هناك معومة، تقوده ايضا الى

(جوزى) تلك.

تراجع مدير مكتب (باريس) فى مقعده، وامسك ذقنه بيده لحظت مفكرا.

فيل ان يعتدل قليلا:

- وكيف نتيقن من ان (جوزى) هذه قد نقيت ربها بالفعل؟!

اجابه فى سرعة:

- اتنا نبحت فى سجلات الوفيات، فى ميناء (مارسيليا)، خلال العامين السابقين.

هز مدير المكتب راسه، قليلا:

- الفجر لا يتقنون بهذه الرسميات ... وفى كثير من الاحوال، يفضلون

دفن موتاهم فى نفس المكان الذى يعيشون فيه .

قال رجل المخابرات فى اهتمام:

- نقد وضعنا هذه المعلومة فى الاعتبار يا سيدى، وعلمنا انه توجد ثلاث

تجمعت للغجر، حول (مارسيليا)، ورجالت يقومون الان بالتحرى فيها

كنهم.

عاد مدير المكتب يمسك ذقنه مفكرا، وهو يغغم، وكنه يحدت نفسه :

- الامر كله عجيب، ويمتلئ بالغموض بالفعل، فلو ان (جوزى)، التى

تعمل معها، سيادة العميد، والتى داوت جراحه فى (مارسيليا)، قد نقيت

حقها منذ زمن ليس بالقريب بالفعل، فمن تلك التى سافرت الى (مصر)

برعاية مؤسسة (اميجو)!

اشار رجل المخابرات بيده، قليلا:

- التقارير الواردة من (مصر) حددت هويتها، وساذب بنفسى لمقبليتها،

ومعرفة ما الذى كانت تفعله فى (مصر) .

اوما مدير المكتب يراسه، وقال:

- لو انها ليست (جوزى)، التى نبحت عنها، فسيكون لديها تفسير مقنع

لكل هذا.

غمغم رجل المخابرات:

- اتعشّم ذلك.

كان مدير مكتب مخابرات (باريس) بهم بقول شئ آخر، عندما ارتفع فجأة رنين هاتفه الخاص، فالتقطه بسرعة، وهو يقول:

- هل من جديد؟!

انعقد حلجباة لحظة، ثم ارتفع في دهشة واضحة ...

كان من الواضح انه يتلقى معلومة خطيرة وغير متوقعة ...

على الإطلاق ...



5 - مطاردة ..

منذ اللحظة الأولى، لدخوله مكتب مدير المخابرات المصرية، لاحظ نائبه، ان هذا الأخير يضع امامه الملف الضخم لـ (ادهم صبرى). والذي يمكن لأى رجل مخابرات مصرى تمييزه فى سهولة: تعدد صفحاته الهائل، الذى يفوق ملفات جميع ضباط المخابرات المصرية بكم ملحوظ! لذا فهو لم يندهش، عندما بادرة الوزير فى اهتمام بالغ، فور دخوله:

- المفترض انه لدينا قلعة كاملة، باسماء كل العاملين فى مؤسسة (اميجو) ... أليس كذلك؟!

اوم التلقب براسه إيجاباً. فى حذر ثم يدر هو نفسه سببه. فتابع المدير، دون ان يمنحه فرصة للجواب:

- اريد ادراج الاسماء كلها فى كمبيوتر المتابعة: لمعرفة ما اذا كن ادهم قد وصل الى (مصر)، عبر اية دولة، خلال الاشهر الاربعة الماضية.

أجابه التلقب فى سرعة:

- سيتم هذا فوراً يا سيادة الوزير.

ثم سألته فى اهتمام:

- اهنك شكوكك، فى ان يكون ادهم هنا؛ لمنفعة شئ ما؟!

هز المدير رأسه نفياً، وقال:

- بل لدى شكوكه فيما بعد هو اكبر من هذا.

اعتدل النقيب في تساول، فتبع المدير، وهو يشير بيده:

- في الواقع، انا اعتقد ان (ن-1) يمكنه الدخول الى (مصر)، والخرج

منها، بجواز سفر احد العاملين في مؤسسته.

ارتفع حلجبا النقيب في دهشة، وهو يقول:

- ولماذا يفعل؟!

اشار المدير بيده مرة اخرى، مجيباً:

- ستجد عشرات الاسباب لهذا.

صمت النقيب لحظات مفكراً، قبل ان يتساعل:

- وماذا عن فحص البصمات؟!

اجابه المدير في حسم:

- ثم نتبع هذا الاسلوب في مطاراتنا بعد، ثم ان (ن-1) محترف، ويدرك

جدا ان الرققق المططية، للبصمات المختلفة، ثم يعد النتائج حكراً على

احوزة المخبرات، بعد تطوّر آلات الحفر الليزرى الدقيقة، في هذا العصر.

صمت للنبيه لحظات اخرى، قبل أن يقول في حزم:

- فليكن ... سوجل البحث عن الاسباب لما بعد، وستقوم فوراً بتغذية

كمبيوتر المتابعة، بكل تلك الاسماء، ويهداها سئرى .

تراجع المدير في مقعده، وهو يقول:

- نعم ... سئرى.

ولم يفصح عما يتوقعه ...

ابداً ...

"ماذا تفعل بالضبط؟!..."

هتف (قدري) بالعبارة في توتر، عندما انصرف (ريو) فجأة عن الطريق

الرئيسي، الى طريق فرعى ضيق، يمر عبر المزروعات، فلجبه هذا

الاخير في اهتمام، وهو ينطلق الى مراة السيارة الداخلية:

- إنه طريق مختصر.

هتف به (قدري)، وهو يعتدل في مقعده بعصبية:

- ومن اخبرك اني أريد اتخاذ طريق مختصر؟!

اجلب (ريو) في حزم:

- تلك السيارة التي تتبع.

حاول قدري ان يلتفت في سرعة؛ ليرى تلك السيارة؛ فهتف به (ريو) في

حسم:

- لا تنظر خلفك؛ حتى لا يدركوا اننا قد كشفنا امرهم.

لمح (قدري) بطرف عيه تلك السيارة رباعية الدفع، والتي انحرفت

خلفهم، في ذلك الطريق الضيق. فقال في توتر:

- وكيف ادركت هذا؟!... السائق العادي لا يدرك هذا في سهولة!!..

اجابه (ريو)، وهو يزيد من سرعة السيارة، ويطلق بها في مهارة غير عادية، عبر الطريق الضيق:

- ومن احبرك اننى سائق عاىء!.. انا (ريو)، ملك سائقى التاكسى...
ليس فى (باريس) وحده، ولكن فى (فرنسا) كلها... بل وربما فى
(اوروپا)، و...

قبطه (قدري)، فى عصبية:

كف عن تغلخرك هذا، واخبرنى كيف لاحظتها .

اجابه (ريو)، وهو يواصل الانطلاق بنفس البراعة، مراقب السيارة
الآخري، فى مرآة صائلون سيارته، والتي ثم يقل سائقها براعة عنه:
- لقد شككت فى امره، فحسب فى البداية. ولكننى صرت واثق من هذا،
عندما تبعنا الى هنا .

ونقل بصره الى (قدري)، وهو يضيف فى شك:

- ثم اننى أجهل من انت، ولماذا رغبت فى الذهاب الى (مارسيليا) فور
وصولك الى (باريس).

هتف به (قدري)، وعصبيته تتزايد:

- ليس هذا من شأنك .

اجابه (ريو)، فى شئ من الصرامة:

- خطأ .. لقد صار من شأنى، عندما طارفت تلك السيارة سيارتى، التى لا
أملك سبيلا للترقى سواها، ولو أن رجال تلك السيارة من رجال العصابات،

فقد يطفون النار، ويثفون سيارة الملك .

ثم ترق اجابته لـ (قدري)، فتجاهل نصيحته، واستدار بجسده الضخم كله،
يلقى نظرة على السيارة المطاردة، وهو يقول فى عصبية زائدة:

- السؤال هو: هل يطاردوننى انا، ام يطاردونك الت؟

انعقد حلجبا (ريو)، وهو يقول فى غضب:

- ولماذا يطاردوننى انا؟!... (ريو) صديق الجميع .

اجابه (قدري)، وهو يحاول ان يتبين هوية قائد السيارة المطاردة:

- ولا أحد يعظم اننى هنا، فى الوقت ذاته .

هتف (ريو)، وهو يحاول زيادة سرعة سيارته:

- وهى ليست مصادفة حتماً !!..

كان يمتلك مهارة كبيرة فى القيادة، ولقد احقنه ان قائد السيارة المطاردة
كان اكثر منه مهارة، حتى ان المسافة بينهما راحت تقل فى سرعة، حتى

صارى السيارة المطاردة على قيد امان قنبلة منه، فتعقد حلجبا (قدري)
فى شدة، وهو يقول فى صرامة:

- اوقف السيارة .

ارتفع حلجبا (ريو) فى دهشة، وهو يقول مستكراً:

- اوقف ماذا؟!

صاح به (قدري) فى حدة:

قئت: اوقف السيارة .

لم يكن (ريو) يرغب حقاً في هذا، إلا أنه ضغط فرامل سيارته في رفق، على نحو اضاء مصيبيح التوقف الخلفية، فخفف مطاردة سرعته بدوره تدريجياً، حتى توقفت السيارتان في ذلك الطريق الضيق .
وفور توقفهما، فتح (قدري) باب السيارة المعجور له، وغادره ليقف الى جوارها، وهو ينظر الى مطارده متحملاً...
وعبر نافذة السيارة الجانبية، لمح (ريو) قائد السيارة الاخرى يغادره بدوره ...

والعدو حلجياه في شدة ...

فالتريقة التي وضع بها المطارديده داخل سترته، كانت توحي بانه سينزع مسدسه ...

وهذا ينطوي على الخطر ...

كل الخطر ...

لم تستغرق المسافة، من حيث تقيم ذات اليد الدعمة، الى (باريس)، وقت طويلاً، تلك الطقرة الخاصة، التي نقلت إليها الصنيعة الحسنة (تب)، والتي لم تكد تصل الى هناك، حتى كان في استقبالها ثلاثة من رجالها، سالتهم فور رؤيتهم :

- من يتبع الهدف الآن؟!

اجابها ادهم في سرعة:

- (تسو) يتبع سيارته، و(فرانسوا) ينتظر وصوله الى (مارسيليا) .

سالتهم في صرامة، وهي تستقل السيارة التي احضروها:

- ومن صاحب تلك الفكرة الحمقاء، في مهاجمة المصري، على رصيف

ميناء (مارسيليا)؟!

ارتبك ادهم، وهو يقول:

- كلفت الاوامر أن نعر على (جوزي) تلك، و ...

قطعه في حدة:

- غبي ...

ثم جئته من قميصه في عنف، مستطردة في غضب شرس :

- مبادرتك الحمقاء كشفت لهم، أننا سعى خلف هدف، يسعون هم انفسهم

اليه، وستدفعهم الى التساؤل، عن السر وراء هذا، في نفس توقيت

بخطهم، وسيدركون انه لدينا وسيلة: لمعرفة خطواتهم التالية. ولانهم

محترفون، فقد نفقد هذه الوسيلة، ونفقد معها نقطة من نقاط تفوقنا .

امتنع وجه الرجل، وهو يقول مضطرباً:

- لقد تصورت ان ...

فيل أن يتم عبرته، انزعجت من حليبه حزامها ابرة رهيبة طويلة، عرسها

في عتقة، في سرعة مذهشة، فتسعت عيناه عن اخرهما، في رعب وانم،

وحقق فيها في ذهول، فاعتدلت في مجنساها في هدوء. وهي تقول في

انذراء:

- لا مجال للأغبياء وسط صفوفنا.

عقلت المفاجأة لسن الرجلين الآخرين، ولم ينبس أحدهما ببنت شفة، على الرغم من اتساع عيونهما في ارتياح ذاهل، في حين احتقن وجه ذلك الذي غرست إبرتها في عنقه، وحاول النزاع الإبرة، ولكن جسده كله أصابه تشنج عجيب، وزاغت عيناه لحظة، قبل أن يسقط رأسه، وينطلق من حلقة خوار عجيب، ثم نهض حركته تماماً، وبتراخي جسده، وعيناه ما زالتا مفتوحتين، وإن غاب منهما بريق الحياة، وارتسم فيهما رعب وآلم بالفين ...

وفي هدوء وحشي، انزعت (نيا) إبرتها الرفيعة من عنقه. والتقطت منديلاً ورقياً، مسحت به الدماء التي عثقت بها، ثم اعانته إلى حزامها، وهي تقول للآخرين:

- أبقظني عندما نصل إلى (مارسيليا).

وأزاحت رأس الرجل بعيداً، وهي تسترخي في مقعدها، مستطردة في صرامة امرأة:

- وتخلصنا من جثة هذا الضبي، عند أول منطقة خالية .

وارتجف شيء ما في كيان الرجلين، عندما تركت جسدها يسترخي، وأبليت جفניה في هدوء، و...

ونمت ...

" ما معنى هذا بالضبط؟! ... "

قالتها (قدري) بالعربية، في غضب صارم، وهو يواجه قائد سيارة المطاردة، والذي اخرج يده من جيب سترته، وهي تحمل بطاقة هويته، مجيباً ايضاً بالعربية:

- (نادر عبد الجليل)، من السفارة المصرية في (باريس)

اجابه (قدري) بنفس الغضب:

- اعلم هذا جيداً، منذ رأيت وجهك، عندما اقتربت من السيارة التي أسقطتها، وسألى ما زال سارياً ... ما معنى هذا بالضبط؟!

اجابه (نادر)، وهو يعيد بطاقته إلى جيبه:

ان هذ لحميتك ي سيد (قدري)، بدء على اوامر (القاهرة).

قال (قدري) في حلق:

- ومن قال انني بحاجة إلى الحموية؟! ... ثم كيف علموا انني هنا؟!

خرج (ريو) من السيارة في هذه اللحظة، وهو يشير إلى (نادر)، ويسأل

(قدري) في توتر:

- مسيو ... هل تعرفه؟!

نقل (نادر) عييه إليه في حذر، وتحسس مسدسه في تحفزه، فقال (قدري)

في صرامة، دون أن يلتفت:

- عد إلى السيارة يا (ريو).

تردد (ريو) لحظة، سأل (نادر) (قدري) خلالها في قلق:

- دعى اكثر سؤاليه عليك ... هل تعرفه؟!

اشار (قدري) بيده، وهو يقول فى حدة:

- دعك منه، واجب سؤالي اولاً.

نقل (ريو) بصره بينهما فى حذر، ثم هز كتفيه، وعاد الى السيارة، فى

حين اجلب (نادر)، دون ان يبعد يده عن مسدسه:

- ليست لدى اجيبه لسؤاليك فى الواقع يا سيد (قدري)؛ فأت انلقى الاوامر

من (القاهرة) واعمل على تنفيذها على اكمل وجه دون مناقشة، وفقاً

لقاعدة العمل، التى تدرّكها جيداً مثلى.

اشار (قدري) الى سيارة (ريو)، قتلًا فى غضب:

- وهل تسمى هذا تنفيذاً على اكمل وجه؟! ... لقد كشف امرك سلق سيارة

عادى.

ابتسم (نادر) فى ثقة، وهو يقول:

- هذا لأننى تعصت هذا يا سيد (قدري).

اتعقد حلجبا (قدري)، وهو يقول فى دهشة:

- تعصت هذا؟! اين تعلمت أصول المهنة يا رجل؟!

اجلبه (نادر) بنفس الثقة:

- تعلمت بعضها منك شخصياً يا سيد (قدري)، ولعلك لهذا تعرفتى فور

رويتى ... ولقد كنت انت المسؤول عن إثارة شكوكى؛ عندما راقبتك، عند

وصولك الى (باريس). وأنت تجنّب شحى هذا السلق. قيل أن تستقل

سيارته.

غمغم (قدري):

- كانت لدى بعض الشكوك.

قل (نادر):

- ولقد نقلتها الى، دون ان تدري، وضاعف منها تلك المعلومات، التى

تلقيتها من مكتب (باريس)، عندما ابتغهم بمواصفات السلق ورقم

سيارته، فلخبرونى انه قد سبق اتهامه فى قضية اختطاف وسرقة سائح

(المالى)، منذ سبع سنوات، ولهذا تعلمت ان يشعر بمظنرتى له؛ حتى لا

يقدم على اية حماقة، ثم بلغت شكوكى ذروتها، عندما التحرف بك فى هذا

الطريق الفرعى الضيق، فزنت من سرعتى للحاق بكم؛ خشية ان يكرّر

ما فعله معك، و ...

بتر (نادر) عبارته، وهو يحذق فى (قدري)، على نحو جعل هذا الاخير

يتراجع فى حركة غريزية، وهو يقول فى عصبية:

- ماذا هناك؟!

لم يكذب عبارته، حتى انقلبت ملامح (نادر)، وانقض عليه فجأة ...

وبمنتهى العنف ...

قجاة. ارتفع رنين هاتف (تيا) الخاص. فأعدت في حركة سريعة، لا توحى إبدأ بأنها كانت نائمة، مثلما تصور رجلها، والنقطة الهاتف. قلقة:

- (تيا).

أناها صوت ذات اليد الناعمة، وهي تقول في صرامة:

- رجال المخبرات المصرية يتبعون (قدري).

بدا وكان (تيا) ثم تدهش لهذا، وهي تقول في هدوء:

- من الطبيعي أن نتوقع هذا.

أجبتها في صرامة أكثر:

- ولكن ليس من الطبيعي أن يلتفوا به مباشرة، في حضور ذلك السلق، الذي ما زلت أشك في صحة هويته.

سألها (تيا)، متجاوزة النصف الأول:

- ألم يسفر البحث في الليلت الفرنسية عن شيء؟!

صمتت ذات اليد الناعمة لحظات، وهي تطالع صورة رخصة قيادة (ريو)، على شاشة الكمبيوتر الخاصة بها:

- لقد عثرا عليه، ومواصفاته تطابق هيته، وفقاً للتصور التي التقطها

(هنا) من بعيد.

شمعت (تيا) في صجر:

- عظيم.

أجبتها ذات اليد الناعمة في حدة:

ولكن هذا لا يعنى شيئا، فمع رجل مثل (أدهم صبرى). لا يعنى التطبيق الشكلى شيئا.

مطت (تيا) شفها، قلقة:

- الأمر يحتاج إلى احتكاك شخصي إذن.

أجبت ذات اليد الناعمة في سرعة:

- بالضبط.

ثم أردفت في قسوة:

- ولكنك تجاهلت الموضوع الأساسي.

التقطت (تيا) نفساً عميقاً، وهي تقول:

- الصدام مع المخبرات المصرية كان متوقع.

قالت ذات اليد الناعمة، في قسوة أكثر:

- لا تحولني مرة أخرى التعامل معي، ولكنك صلحية الخبرة الأكبر في كل شيء ... لو أن الأمر يتعلق فقط بقاء، بين (قدري) وأحد رجال المخبرات المصرية، لم اضعت ثقتي واحدة. في الاتصال بك.

جذب الأمر اهتمام (تيا) وانتبهت هذه المرة، فسالت. وهي تميل إلى الإمام:

- ماذا حدث أيضاً؟!

أجبتها بكل صرامة الدنيا:

- تدخلهم افسد نقطة تفوقنا الاولى .. افسدناها تماماً.

وفي هذه المرة، تخفرت كل ذرة في كيان (نيا)...

وبشدة...

* * *

بلت دهشة كبيرة، على وجه مدير المخابرات المصري، وهو يقرأ ذلك

التقرير الذي قدمه له ثقبه، قبل ان يرفع عينيه اليه، مردداً:

- (ادموند صرؤف)، و(ماري تومس)؟!

او ما ثقبه براسه ايجيا. وقال، والحيرة لم تفارق صوته بعد:

- مواصفاتهم تتفق تمام مع مواصفات سيادة العميد، والمقدم (منى)...

وكلاهما من اصل لبناني، ويحمل الجنسية الامريكية، و(ادموند) موظف

في قسم الكمبيوتر، في مؤسسة (اميجو)، في حين تعمل (ماري) في قسم

العلاقات العامة، في نفس المؤسسة.

صمت القاب لحظة، ثم أضف في حزم:

- الاله ان كليهما رار (مصر)، عقب إصبة المقدم (منى)، واختفاء سيادة

العميد.

اتعقد حاجباً مدير المخابرات، وهو يقول:

- زارها عقب ذلك؟!

ثم اعتدل، يضيف في اهتمام وتفكير:

- ولكن هذا لا يتفق مع ما تصوّرته ... لقد كنت تصوّر ان هذا يمكن ان

يحدث، بعد ذلك التاريخ بشهر او شهرين. باعتبار انها وسيلة مثلى،

ينحل (ن-1) ويخرج بها من (مصر)، في هيئة اخرى، وبيانات جواز

سفر، تستند الى اوراق رسمية من مؤسسته، اما ان يصلا عقب ذلك

مباشرة، فقد يعنى دلالة مختلفة تماماً.

قال ثقبه، مؤثماً على كلامه:

-اضف الى هذا انهما قد زارا القرية النوبية، وقضيا فيها عدة ايام،

بخلاف كل الساتحين، الذين يقضون فيها ساعات فحسب.

تراجع المدير في مقعده، وهو يقول- بثجة من يحدث نفسه:

- زارا (اسوان)، وقضيا ايام في القرية النوبية. التي زارها (قدرى)، ثم

انطلق منها الى (باريس) مباشرة.

ثم عاد يلتقط التقرير، ويطلع للمرة الثالثة، وهو يضيف:

وحرفى الالف والصاد، والميم والتاء، و ..

رفع عينيه الى ثقبه، يسأله فجدة. ودون ان يتم عبارته:

- ما الذي يعنيه هذا بالضبط؟!

هم ثقبه بالإجابة، إلا ان المدير اكمل في سرعة، ولبتسامة كبيرة، دون

ان يمنحه فرصة للإجابة:

- ان (ن-1) هو امهر لاعب شطرنج، عرفته في حياتي.

لوهذه. لم يستوعب القاب العبارة، ولكن طرح فكرة الاستعجاب هذه جانباً.

وهو يضع تقريراً آخر، امام عيني المدير، قائلاً:

- هناك تقرير عاجل، وصل من مدير مكتب (باريس)، ويحتوي معلومات هامة للغاية.

التقط مدير المخابرات تقرير مدير مكتب (باريس)، وما ان طالعته، حتى اعتدل على مقعد وجرقة حادة .

هذا لان المعلومات الواردة بالتقرير، كانت كفيلة بتفجير نفس الانفجالات،

التي اصابت مدير مكتب (باريس)، عندما بلغته ...

معلومات هامة وخطيرة...

بلا حدود.



6 - الخطر ..

جلس مدير مكتب المخابرات المصرية في (باريس)، مع رجل المخابرات المصري، امام شاشة عرض رقمية كبيرة، تعرض صورة مكبرة، لرخصة قيادة سلق سيارة الاجرة (ريو)، وهو يقول في توتر:

- المخابرات الروسية!!! ... من يمكن ان يصدق هذا؟! ... لقد كانوا في

الانتظار السيد (قدري) ايضاً ... الامر تتسع، اكثر مما ينبغي .

قال رجل المخابرات المصري في اهتمام:

- ولكن المعلومات التي حصلنا عليها، تشير الى انه قد ترك الخدمة

معه، منذ خمسة اعوام .

هزّ مدير مكتب (باريس) رأسه، وهو يقول:

- لا يمكنك الاعتماد على احتمال انه لم يعد يعمل لحسابهم؛ قلت تعرف

القاعدة ... ما ان تعمل في جهاز مخابرات، حتى تظل الى نهاية حياتك

رجل مخابرات .

شمغم رجل المخابرات المصري:

- هذا ينطبق على ضباط المخابرات المحترفين فحسب: لانهم يتدربون

لمدد طويلة، على اكتساب طبيعة رجل المخابرات، وليس من السهل أن

يتخلصوا منها. حتى في حياتهم الاسرية والعادية. ولكن (ريو) هذا كان

احد جيونهم فحسب .

اجابه في صرامة:

- وفقاً لقواعد العمل، سنظل نعتبره مازال يعمل لصالحهم، الى ان يتبين العكس .

غمغم رجل المخابرات المصري:

- بالتأكيد .

مع اخر حروف كلمته، ارتفع رنين هاتفه المحمول، فالتقطه في سرعة، قتلًا:

- (حنى) ما الجنيد ؟!

التفد حجبته في شدة، وهو يستمع الى محدثه، قبل ان يلتفت الى مدير مكتب (باريس)، قتلًا، في لهفة تشف عن تطور كبير:

- يبدو انه لدينا أمر اكثر خطورة .

وانفد حلجياً مدير مكتب (باريس) بدوره...

فالعبرة تعنى أن الأمر يتسع بالفعل...

وبلا حدود ...

* * *

سرى نوتر شديد. في جسد (ريو)، عذمت شاهد، في مرآة السيارة

الجاتية. رجل المخابرات (نادر)، وهو ينقض في علف على (قدري).

الذى تراجع في دهشة مذعورة ...

ودون اصاعة لحظة واحدة في التفكير، وثب (ريو) خارج السيارة،

والنقض على (نادر)، وهو يطلق صيحة قتالية هادرة ...

ومع تراجعه، اختل توازن (قدري)، وسقط على ظهره ارضاً، في نفس

اللحظة، التي وثب فيها (ريو) نحو (نادر)، فلتحنى هذا الاخير في خفة،

ومال براسه، يستقبل القضاضة (ريو) على كتفيه، ثم اعتدل في حركة

رشيقة سريعة، ليلقى هذا الاخير عن ظهره في قوة ...

وارتطم (ريو) بالارض في علف، فطلق زمجرة غضبية، ووثب محاولاً

الانقضاض على (نادر) مرة اخرى. ولكنه فوجى بمسدس هذا الاخير

مصوب الى راسه، ويصوته الصارم، وهو يقول بفرنسية سيئة:

- تست اعتقد ان سائق الاجرة، يمكنه مزاولة مهنته بدون راس .

هلف (ريو)، وهو يشير الى (قدري)، الذى نهض في توازن:

لقد حاولت الاعتداء على راكبي ..

قال (نادر) في حزم:

- مطلقاً .

ثم اشار الى (قدري)، من خلف ظهره، وهو يقول في حزم، دون ان يلتفت اليه:

- اخرج سترتك يا سيد (قدري).

لم يفهم (ريو) عبارة (نادر)، التي نطقها بالهيبة، وشعر بتوتر جديد.

عندما رأى (قدري) بنزع سترته، ويفحصها في اهتمام، قبل أن يرتفع حاجباه، وهو يهتف بكل الدهشة:

- يا الهي!

قال (نادر)، وهو مازال يصوب مسدسه إلى (ريو) :

- من الواضح أنك قد عثرت عليه .. النزع الآن، وإلقه بكل قوتك بعيداً.
النزع (قدري) ذلك اللبوس الصغير، الذي غرسه (هالز) في سترته،
والذي يحوى اداة التتصت الدقيقة، وإلقاه بكل قوته بعيداً، وهو يقول
بالعربية:

- لقد فعلت .

ثم عاد يفحص سترته في قلق، خشية وجود اجهزة اخرى، وهو يقول في
توتر بالغ:

- من وضعه؟! ... وكيف لاحظته؟!

اجابه (نادر) وهو يخفض مسدسه، ويعيده إلى غمدته تحت أبطه:

- اى محترف يمكن ان ينتبه اليه، من انعكس الضوء على معدنه، على
الرغم من ثوبه الرمادى، اما من وضعه، فهو امر اجهته.

واستدار إلى (قدري)، مضيقاً:

وهذا ينتبأ أهمية ان تعمل على حمايتك يا سيد (قدري)، فهناك من يتبعك،
دون ان تدري.

غمغم (ريو) من خلفه، في توتر شديد:

- إله جهاز تنصت ... أليس كذلك؟!

التفت إليه (قدري) و(نادر) في حركة حادة، ووضع هذا الأخير يده على
مسدسه في حذر، وهو يسأله في صرامة:

- وكيف علمت هذا؟!

لم يبد ان (ريو) قد سمع سؤاله، وهو يشير بيده، قاتلاً في اهتمام:

- تلك الاجهزة الصغيرة لا تعمل كناقل صوتى فحسب، ولكن كجهاز تتبع
ايضاً، ولقد احسنتما بالتخلص منها .

بدت الدهشة على وجه (قدري)، في حين أمسك (نادر) مقبض مسدسه
تحت سترته، وهو يقول في صرامة:

- من انت بالضبط يا رجل؟!

اجابه (ريو) في سرعة، وهو يحرك ذراعيه على نحو مسرحى:

- (ريو بنشونى)، ملك سلقى التنكس في (باريس).

ثم غمز بعينه، قاتلاً بابتسامة مرحة، وهو ينحنى نصف إنحناء:

- ولدى خبرات متواضعة، فى عالم المخابرات.

تبدل (نادر) و(قدري) نظرة متوترة، قبل ان يسأله الاخير في حذر:

- خبرات من اى نوع؟!

أشار (ريو) إلى سيارته، وهو يقول فى زهو:

- خبرات ابتاعت هذه السيارة، وثلاث سيارات اخرى. يقودها اشقتى.

ران صمت مهيب على المكان، عقب قوله هذا، فاعتدل (ريو)، وهو يقول

في صرامة، تحمل رنة غاضبة:

- ولكن (ريو) لا يخون زبائنه أبداً.

وعمل نحو (قدري)، مكملاً في حمل:

- إنها أصول المهنة.

رمقه (نادر) بنظرة تمتلئ بالشكوك، قبل أن يقول بالعربية:

- نيت الصبح بمواصلة الطريق، مع هذا الرجل يا سيّد (قدري).

ظلّ (قدري) صامتاً بضغ لحظات، وهو يتأمل (ريو) في إمعان، قبل أن

يقول في حزم:

- ثو أنك حقاً أحد تلامذتي. فلا ريب في أنك تلقى في قدرتي على الحكم

على الأشخاص.

قال (نادر) في توتر:

- دون أنني شك يا سيّد (قدري)، ولكننا ليست مسألة قد عت شخصية،

بل ...

قطنعه (قدري)، وهو يشير إلى (ريو)، قللاً في حزم:

- هيا يا (ريو).... سنستألف طريقاً.

اتخذ حليماً (نادر)، وهو يهتف مستكراً:

- سيّد (قدري)!!

رأيت (ريو) على كتفه، وهو يقول في افتخار:

- الربون يثق في (ريو)، و(ريو) سيحميه بحيته ... اطمئن.

وامام عينيه، انطلق (ريو) بالسيارة مع (قدري): لمواصلة طريقهم إلى

(مارسينيا)، وإن لم يقطع (نادر) بهذا الموقف، الذي يتعارض مع كل

قواعد الأمن والسلامة.

لم يقطع ... أبداً.

اطلق مدير المختبرات المصرية زفرة حارة طويلة، بعد أن انتهى من

مطالعة البرقيات العجينة، التي توالت وصولها من (باريس)، وتراجع في

مقعده. وهو يقول في انفعال، حاول جاهدًا التخفيف منه:

- البرقيات تنهال من (باريس)، وكل برقية تحمل مقلجاً، تزيد الأمور

غموض وتعقيداً.

ونهض من خلف مكتبه، ووقف كعائنه امام التافذة، المظلة على ساحة

مبنى الجهاز الرئيسية، وهو يتابع في تفكير:

- وصول الصبينة (تيا) إلى (باريس)، وكشف جهاز التتبع والتتبع، في

سترة (قدري)، الذي جارف بمواصلة طريقه، مع عميل سلق للمخابرات

السوفيتية!!...

صمت لحظات مغفراً، قبل أن يلتفت إلى نقيب، قللاً في اهتمام:

- لا يبدو لك أن الأمر يزداد تعقيداً، مع كل خطوة!!

أجابه نقيب بإيماءة من رأسه، قبل أن يقول:

- وصول (تيا) يرتبط حتماً، على نحو أو آخر، بزرع جهاز التتبع في
سترة السيد (قدري)، فهم، بوسيلة ما، يعلمون انه يبحث عن سيادة
العميد (ادهم) والمقدم (منى)، ويسعون خلفه، ثقة منهم بأنه السبيل؛
لنوصلهم إلى غايتهم.

وصمت لحظة، قبل ان يضيف:

ما يقلقني حقاً، هو ثقة السيد (قدري)، في عميل سابق للمخابرات
السوفيتية.

اطلق المدير زفرة أخرى، قبل ان يقول:

- (قدري) لديه موهبة فريدة، في الحكم على الشخصيات، وما دام اختار
الاستمرار مع سلق الأجرة. بعد معرفته بتاريخه، فهذا يعنى انه لديه
اسبابه.

ورفع عينيه إلى نظيره، مستطرداً في حزم:

- ولكنه لا يعنى أن تتسحب نحن من الساحة.

اكتسب صوته صرامة امرة، شأن او قلاد عسكري، في ميدان المعركة،
وهو يضيف:

- على رجالنا في (مارسيليا) انتظار وصوله، ومتابعته عن بعد، دون أى
اتصال مباشر، حتى يتبين حقيقته انتماء سلق الأجرة هذا.

وصمت لحظة، ثم اكمل:

- وحتى تسير الخطوة، وفقاً لمسارها الصحيح....

ومرة أخرى لم يستوعب التقلب الأمر كله ..

ومرة أخرى لم يسأل ...

كالمعتاد ...

* * *

" إثنى اعترف ... "

قالتها (ريو) في مرح. وهو يقترب من (مارسيليا)، فسأله (قدري) في
اهتمام:

- لم اطلب منك اعترافى رجل؛ فقد اخبرتك من قبل انه لديك خبرة
سابقة، في اعمال المخابرات، وما اسألك اياه هو كيف اكتسبت هذه
الخبرة، ولحساب من كنت تعمل؟! ...

هز (ريو) كتفيه، وهو يقول:

- ليصنع هذا فرقاً؟!!

بدا (قدري) صارماً، وهو يجيب:

- بالتأكيد ...

صمت (ريو) لحظات، وهو يتبع اللافنة على الطريق، والتي تشير إلى
أنهم على وشك دخول (مارسيليا)، ثم قال:

- الواقع ان هذا يؤثر بعض القلق والخوف، ولكننى كنت اعلم لحساب
المخابرات السوفيتية.

انعتقد حاجبا (قدرى) فى شدة، وهو يقول:

- اى نوع من العمل؟!

نؤرخ بيده، مجيباً:

- كان هناك امريكى يتعامل معهم، ثم خالفهم ... إنه رجل اعمال شهير ...

ولقد دربونى على الاقتراب منه، والتوؤد اليه، حتى عملت سلقاً خالصاً

له، وفى اللحظة المناسبة ...

فرق إصبعيه، وكان هذا يكفى لاستكمال الإجابة، فزدداد العقاد حاجبى

(قدرى)، وهو يميل ليسأله:

- قتلته؟!

هتف (ريو) فى شنع:

- كلا بالطبع ... (ريو) لا يلوث يديه بالدم ابداً.

تراجع (قدرى)، وهو يسأله فى حذر:

- ماذا فعلت به إذن؟!

نؤرخ بيده مرة أخرى، وهو يجيب:

- قتلته إليهم؛ لكن يستجوبوه. ولقد رتبوا الامر، بحيث تبدو كحادثة

اخطاف رجل اعمال، وظنوا فدية لتأكيد الأمر.

قال (قدرى) فى صرامه:

- ومن ادراكه انهم لم يقتلوه؟!

صمت (ريو) لحظات، ثم قال فى أسف:

كثت هذه خطتهم فى الواقع.

ارتفع حاجب (قدرى) فى دهشة، وهو يقول:

- إذن قاتت ...

قاطعه (ريو) فى سرعة:

- اخبرتك ان (ريو) لا يلوث يديه بالدم ابداً.

قال (قدرى)، فى غضب صارم:

- ولكنك قتلته إليهم.

اجلبه (ريو) فى الفعل:

- ثم اكن ادري حقيقة نوابهم. وعندما ادركت ما يستهدفونه، قمت بهم

بمعينه على ضميرى المهنى.

واكتسب صوته رنة زهو، وهو يترك عجلة القيادة، ويؤرخ بيديه معاً،

على نحو مسرحى، مستطرداً:

- وانقذته.

بدت الدهشة على وجه (قدرى): وهو يضيف:

- انقذته من المخابرات السوفيتية؟!

عاد (ريو) يسيطر على عجلة القيادة، وهو يقول:

- لم يكن أمامى سوى هذا، ولم أدرك لحظتها أى مستفيع افجعت نفسى

فيه، ولكنه نجا على اية حال، و...

بتر عبارته دفعة واحدة، وهو يوقف سيارته إلى جانب الطريق، وابتعدت

إلى (قدري)؛ ليسأله في اهتمام:

- نحن الآن داخل (مارسيليا) يا مسيو... أين تريد الذهاب هنا بالضبط؟!

بدأ السؤال وكأنه قد باغت (قدري)، الذي تراجع في مقعده، وهو يطرح على نفسه السؤال ذاته...

ها هو ذا في (مارسيليا)، فلين يتبقى أن يبدأ بحثه؟!...

أين؟!...

لاحظ (ريو) خبرته، فسأله في اهتمام:

- أخبرني عم تبحث بالضبط يا مسيو، وسخبرك أين ينبغي أن تذهب.

تطلع إليه (قدري) لحظت في حيرة، قبل أن يقول في بطة:

- الواقع أنني أبحث عن عجوز تدعى (جوزي)، و....

قطعه (ريو) في حماس:

- الفجيرية؟!

هتف (قدري) بكل دهشته:

- هل تعرفها؟!

نوح (ريو) بيده كعادته، وهو يقول:

- بالتأكيد... أماذا لم تقل هذا منذ البداية؟!

وعاد يتطرق بسيارته، في قلب (مارسيليا)، على نحو يوحي بأنه يعظم جيدا

أين يجد هدفه...

(جوزي) ...

بدأ (هاتز) شديد التوتر، وهو يتحدث مع ذات اليد الناعمة، عبر هاتفه

الخاص، قائلا:

- كن تجلس على مقعدين متجاورين في الطائرة أينها الزعيمة، ولقد

غرس الجهاز في أفضل موضع متاح، من هذه الوضعية.

قالت في صرامة غاضبة:

- كان ينبغي أن تبذل جهدا أكبر؛ فلقد كشف ضبط مخبرات مصرى شلب

أمر الجهاز، بنظرة واحدة فحصة، وخسرت أكبر نقطة تفوق....

غمغم مضطرب:

- لقد فعلت ما في وسعي أينها الزعيمة، و...

قطعه صوتها فجأة، وهي تقول في حدة:

- اغلق شفتيك؛ فلدى اتصال آخر أكثر أهمية.

ضغطت زرا في هاتفها؛ لتقل الاتصال إلى خط آخر، ولم تكد تفعل، حتى

سمعت صوت (تيا)، تقول في حزم:

- لقد عثر عليه.

سألته ذات اليد الناعمة في توتر:

- أيهما؟!

أجبتها في حزم:

- ذلك الينين... لقد وصل إلى (مارسيليا)، مع ذلك السائق نصف

اللاتسي. ورجائنا يتجهوبهما الآن، وهما يتجهان إلى مكان ما. خذ أطراف

خطراً حقيقياً، ولم يظهر هو لحمايته، فلن يظهر ابداً.

سألها (تيا)، وقد تسلل الانفعال إلى صوتها:

- ماذا تقترحين بالضبط؟!

اجبتها في حزم صارم قاس:

- سنضع (قدرى) في مواجهة اكبر خطر في حياته، فإما ان يدفع هذا

(ادم) للظهور، ومحاولة حملته وإلقائه، او

صمتت لحظة، فسألها (تيا) في انفعال أكثر:

- أو ماذا؟!

اجبتها بكل شراسة اللذيان:

- نقتله...

* * *

" هنا ستجد (جوزى) ... "

نطق (ريو) العبارة. وهو يشير إلى عدة منازل بدائية صغيرة. في ساحة

خالية، تحيط بها اشجار كثيفة، فتساعل (قدرى) في حذر:

- ما هذا بالضبط؟!

اجابه مؤخاً بديه:

- معسكر الفجر. الذى نقيم فيه (جوزى)، او الذى كنت نقيم فيه، حتى

آخر مرة أوصلتها إليه.

(مارسيليا).

التفت حلجياً ذات اليد القاعمة، وهى تسأل:

- اهو طريق معتاد؟!

اجابت (تيا) فى سرعة:

- ليس تماماً.

قالت ذات اليد القاعمة فى صرامة:

- انهم يعلمان جيداً اين يتجهان إذن ... وهذه فرصة مثالية؛ لتجبر

خصمنا اللئيم على الظهور.

قالت (تيا)، فى ضيق واضح:

- انهم يتجهان إلى حيث (جوزى) تلك على الأرجح.

اجبتها ذات اليد القاعمة، فى صرامة أكثر:

- لم يعد هذا يهم الآن ... المهم ان (قدرى) هذا ينصّور انه قديمك

طرف الخطب ولكنه فى الواقع سيكون طرف الخطب الذى يقود إلى

هدفنا.

سألها (تيا) فى حزم:

- الفصحى عما يدور فى ذهنك.

اجبتها بنفس الصرامة:

- (قدرى) هو الصديق المصنوق لغريمنا الرئيسى، الذى يعلم ان اكبر نقطة

ضعف فى شخصيته، هى أنه يبالغ فى حمايته أصدقائه. فإذا ما واجه

- اتيت لسؤال عن (جوزي) ... انها صديقة لاعز اصدقائي، و...

قاطعته فجأة توقف سيارة كبيرة، على الجانب الآخر من الساحة، في حركة حادة، اثار حولها سحابة من الغراب، جعلت الغجر المضطربين ينقلون ابصارهم منه اليها، ثم يتراجعون في خوف، عندما ولب منها رجلان مسلحان، شهر كل منهما مسدسه، والوحشية تطل من عيونهما، والطلقا على نحو مستقيم ...

نحو (قدري) مباشرة....

وبكل خوفه والفعالة، تراجع (قدري) ...

تراجع ...

وتراجع ...

ثم اختل نوازنه، و....

وسقط ...

وقبل ان يسقط جسده الضخم على التلحوض، كان الرجلان يحيطان به، بكل الوحشية المظلمة من ملامحهم وعيونهم، ومن فوقهم مسدسيهما، اللتين صوبت نحو راسه مباشرة، واحد الرجلين يصرخ كوحش مفترس: - بلغ تحيلنا إلى رفاقك في الجحيم يا هذا.

كلفت سيبتها شديدة التحفز على زبادي مسدسيهما، وعيونهما تقول في وضوح انهما لا يعينان او يهذنان فحسب، فانجف جسد (قدري) كله. وأبقن من خاتمته، و...

نقل (قدري) بصره بين (ريو) وتلك المنازل الصغيرة، قبل ان يساعل، في بطء وحذر:

- انت واللق؟!

اجابه في حماس:

كل الثقة ... هيا يا رجل ... لا تردد ... اذهب وسل عن (جوزي) وسنجد حتماً من يفودك اليها.

تردد (قدري) لحظت اخرى، ثم لم يلبث ان دفع بب السيارة، وغادرها يتطلع إلى تلك المنازل مرة اخرى، قبل ان يغمض:

- ان تصحبني إلى هناك؟!

اجبه (ريو)، وهو يغادر السيارة بدوره:

- اذهب انت اولا، فالواقع ان (ريو) يحتاج إلى الاتفراد بنفسه بعض الوقت.

وغمز بعينه، مضيقاً، وهو يتجه نحو الأشجار:

- إله نداء الطبيعة.

تبعه (قدري). حتى اختفى خلف مجموعة من الاشجار، ثم التقط نفساً عميقاً، وتقدم نحو تلك المنازل الصغيرة، ومجموعت الفجر التي تنتشر امامهم، والتي توقفت كلها عن مواصلة أعمالها البسيطة، والتفتت بعيونها السوداء الواسعة اليه في حذر، جعله يرفع صوته. وهو يسأل بالفرنسية:

7 - الرجل ..

" مستحيل!!... "

هتفت ذات اليد الناعمة بالكلمة، وهي تثب من مكانها في الفعل، وانتظت واحدة من سجليها في عصبية، واشعلتها وهي تسأل (تيا)، عبر هاتفها

الخاص، في توتر شديد:

إنه ذلك السلق إذن؟!

أجبتها (تيا) في حزم:

- لقد شاهدته بنفسى يقاتل رجلينا، ويطيح بهما في لحظات. على الرغم من قوتهما.

هتفت بها:

- وماذا فعلت؟!

أجبتها بنفس الحزم:

- انطلقت بالسيارة مبتعدة على الفور.

صلحت ذات اليد الناعمة في حدة:

- ولماذا لم تطلقى عليه النار؟!

أجبتها (تيا)، في حدة مماثلة:

- لو أنه حقاً من تصوّر، فاصطباذه لن يكون بهذه السهولة ... إنه يحتاج

وقجاة، سمع من خلفه صوت أقدام تعدو في سرعة وقوة. ورأى الرجلان يرفعان قوتهن مسدسيهما إلى شيء ما خلفه ...

ثم وثب ذلك الشيء عبر جسده، الذى مازال على الأرض ...

كان رجلاً قوياً، وثب وثبة مذهلة، تجاوزه فيها على نحو قوى: ليركل أحد الرجلين في صدره بكل قوته، ثم يدور ليكلم الثقلى لكمة كالقنبلة، في ألفه مباشرة ...

وانتفض جسد (قدري) في شدة، واتسعت عيناه عن آخرهما، وخفق قلبه بكل قوة الدنيا ...

فما يراه كان مفاجئة مذهلة ...

بكل معنى الكلمة.



إلى مواجهة أكثر اتقاءً .

صاحت بها في غضب:

- كلفت الفرصة ساحة .

اجابتها (تيا) بنفس الحدة:

- على العكس ... لقد استولى على سلاحى الرجين، ولو انى حاولت

التدخل، لما امكنتى الإفلات ... انت تدركين مثلى مدى براعة فى

التصويب .

حاولت ذات اليد الدعمة ان تسيطر على النشاطات: لنقول فى صرامة:

- لو فقدنا اثره، لن يمكننا العثور عليه ثانية .

قبل ان تجيبه (تيا)، ظهرت معلومات جديدة - على الشاشة امامها، فلتقد

حلجها الجميلان فى شدة، وهى تقول فى توتر:

- مهلا .

سالتها (تيا)، عبر الهاتف فى اهتمام:

- هل من جديد؟! .

اجابتها ذات اليد الناعمة، وهى تقرأ ما امامها فى انفعال:

- ذلك السلق كان يعمل لحساب المخابرات السوفيتية .

هتفت (تيا) فى دهشة:

- حقاً؟! ...

تابعت ذات اليد الناعمة، وتوترها بتزايد:

- ولقد تلقى تدريبات قتالية كثيفة . على يد خبرائهم .

بدت (تيا) عصبية، وهى تقول:

- ما الذى يعنيه هذا؟! .

اجابتها، فى عصبية اكثر:

- يعنى أنه يجيد القتال، فى قوة ومهارة .

قالت (تيا) فى توتر:

- ولكن ما رايته كان قتالاً فريداً ... خلبها منى كعميلة مخبرات صينية

سابقة .

زمجرت ذات اليد الناعمة فى عصبية، وهى تقول:

- ليست نضيف معلومات كافية، عن درجة تدريب ذلك السلق . ولكنه

مضطرب بالتأكيد .

ثم صمت (تيا) عن الشك الذى راوده، والذى بدا واضحاً فى تردها،

وهى تقول:

- ولكن ما شاهدته ...

قطعتها ذات اليد الناعمة فى صرامة حادة:

- هذا لا يكفى، حتى بالتسوية لك ... نحتاج إلى تأكيد حاسم .

صمتت (تيا) تحفظاً آخرى، قبل أن تسأل:

- ماذا نقترحين؟! .

اجابت بكل صرامة:

الكث، قتلا بلبتسامة عريضة:

- هل ترغب في جنب هذا هذه المرة؟!

واصل (قدري) نظرة الشك تلك لحظات، قبل ان يغمغم:

- ليس بالضرورة.

واطلق زفرة حارة، قبل ان يلتفت إلى الفجر، الذين عادوا يقتربون،

ويضيف في توتر:

- ولكنني أسألك: من هؤلاء؟! وماذا سعى لقتلي؟! وعن أي رفاق

يتحدثون؟!

التفت (ريو) إلى الفجر بنوره، وهو يقول:

- الأصدقاء هنا يطمون كيف ينتزعون المظلوم منكم.

قال زعيم مجموعة الفجر في عصبية، عندما بلغ الحديث مسامعه:

- لا نريد التورط في هذا.

بدأ (ريو) صارماً، وهو يجيبه:

- لقد تورطتم، وانتهى الامر، فمن ارسلوا هؤلاء، سيرسلون المزيد

لثبث عظم.

قال زعيم الفجر في غضب:

- أئتما جنبتموهما إلى هنا، وعنيكما تغلبت منهما.

ران الصمت لحظات، قبل ان ينحس (ريو)، ويحمل احد الرجلين على كتفه

في بساطة، وهو يقول:

- لستكك مباشر لفر.

والعجيب ان كل ما احقق، عقب هذه العبارة، كان وجه (نيا) ...

وبشدة...

حذق (قدري) ذاهلاً، في سائق الاجرة (ريو)، الذي وقف شامخاً، بعد ان

افقد رجلى (نيا) وعيهم، واستولى على سلاحيهما، وانشأ إلى صدره، في

حركة مسرحية للغبية، وهو يقول:

- ألم اقل لك: إن (ريو) يحمي زبنته يوماً؟!

واصل (قدري) التحديق فيه، وهو يغمغم ذاهلاً:

- ولكنك كنت تغفل مثل ... مثل ...

غمز (ريو) بعينه، مع ابتسامة كبيرة، وهو يقول:

- مثل المحترفين ... ليس كذلك؟!

حاول (قدري) التهوض، وهو يغمغم:

- بل أكثر من ذلك.

مد (ريو) يده إليه، ليعاونه على التهوض، وهو يقول:

- من الواضح أنهم قد احسنوا لقتلي وتدريب.

اعتمد (قدري) على قبضة (ريو) القوية، ليهض واقفاً امامه. وينطلق

إليه بنظرة شك طويلة، جعلت هذا الأخير يميل نحوه، ويمسك حاجبه

عبر منازلهم الصغيرة. إلى مساحة محدودة، اشار الزعيم إلى منتصفها،
قللاً:

- ها هي ذى.

حذق (قدري) فى الساحة الخالية، وهو يسأل فى دهشة:

- اين؟!

اجابه الزعيم، فى حذر، لم يدر له سبباً:

- ترقد فى سلام، على عمق متروين.

ارتفع حجب (قدري)، مع اتساع عينيه، وهو يهتف مصدوماً:

- (جوزى) ملئت؟!

اجابه الزعيم فى اسى خاشع:

- منذ ما يزيد قليلاً عن العام.

كَيْل لـ (قدري) ان صاعقة قد سقطت من السماء، وانقضت على راسه

مباشرة، فتراجع مترنح من الصدمة، وهو يهتف بصوت مختق:

- مستحيل!

قلب زعيم مجموعة الفجر شفتيه، وهو يقول:

- كل البشر يموتون.

اشار (قدري) إلى قلب (جوزى)، مقمقماً:

- ولكنها كانت هناك. منذ اربعة اشهر فحسب.

بدت الدهشة على وجوه الجميع، وغمق الزعيم فى حيرة:

- ليست مشكلة... سلهم انت عما تريد يا مسيو، ودعنى التولى امر هذين
الوغيين.

راقبه (قدري) لحظات، وهو يتجه بحمله نحو سيارته، ثم التفت إلى

رئيس مجموعة الفجر، يسأله:

- هل تعرفون هذا الرجل؟!

اجابه الزعيم فى ثوترة:

- بالتأكيد... لقد اتى هنا مع (جوزى) عدة مرات، ولكننا لم نشاهده يوم

يقاتل بهذا العفوان.

التقى (قدري) نظرة اخرى على (ريو)، الذى راح يقبذ الرجل فى احكام، ثم

قال للزعيم:

- الواقع ان هذا سبب قدومى الى هنا بالاضبط... جئت بحث عن (جوزى).

تبادل الزعيم نظرة متوترة مع مرافقيه، قبل أن يسأل فى حذر:

- من اين تعرف (جوزى)؟!... ولماذا تبحث عنها؟!..

اجب فى سرعة، توحى بانه كان ينتظر السؤال:

- لنا صديق مشترك، اردت سؤاها عنه.

تبادل الزعيم نظرة متوترة مع مرافقيه مرة اخرى، ثم اشار بيده، قللاً:

- انبسطى.

كن (ريو) قد انتهى من وضع الرجل الاقل. بعد تقييده، فى حقيبة سيارته

الواسعة، وعاد لآخذ التلى، عندما تبع (قدري) زعيم مجموعة الفجر،

هناك ابن؟!

حمل صوت (قدري) توتره وانفعاله، وهو يغمغم:

- في (مصر) .

تراجع الجميع في دهشة عارمة، وهفت إحدى نساء الفجر في حمس:

- اخبرتكم ان (جوزي) قنيسة.

اشار لها زعيم مجموعة الفجر في صرامة، وهو يواجه (قدري)، قتلًا:

- اسمع يا مسيو ... لقد دُفنت (جوزي) بنفسى، واقمت لها القداس على

نفقتى، وفي اية سريعة في الوجود، فالموتى لا يعودون الى الحياة، في

العالم الذى تعرفه.

هز (قدري) راسه في قوة. وهو يقول بكل توتر الذنبي:

- هناك امر لا افهمه.

قال زعيم مجموعة الفجر في صرامة:

- الموت لا يحتاج الى عبقرية نفهمه.

قال (قدري) في توتر شديد:

- الأمر لا يتعلق بالموت، وإنما ...

بئر عبارته دفعة واحدة، وثُوح بيده، قتلًا:

- لا عليك ... ننت اظننى اجد اجوبه اسئلتى هنا.

قالها، واستدار متجهاً إلى حيث (ريو). الذى انتهى من تقييد الرجل

الثانى، ووضعها إلى جوار الاوّل في حقيبة سيارته، التى أغلقها في إحكام،

ولقد اضطربت المعلومات في ذهنه بشدة:

- ايهما على حق؟! ... زعيم مجموعة الفجر، ام (حامد ابراهيم) فى القرية

النوبية؟! ...

وهل ماتت (جوزي) منذ عام بالفعل، ام انها من عالج (ادهم) و(منى) فى

(مصر)؟! ...

ايهما على حق؟! ...

ايهما؟! ...

" ما الجديد؟! "

"اللى مدير المخابرات المصرية السؤال ، على نقيب الاوّل. فور دخوله

الى مكتبه، فتحه اليه القلب مباشرة، ووضع امامه عدة برقيات، واردة

من (باريس)، وهو يقول :

- كنت على حق يا سيادة الوزير ... الامور بالفعل تزداد تعقيدا، فى قضية

سيادة العميد (ادهم).

ساله الوزير فى اهتمام قلقل:

- وما الجديد؟! "

دفع امامه إحدى البرقيات، وهو يقول:

- المقدم (علمي)، من مكتب (باريس)، التقى بـ زوجة الناجر (جوزفين ليلينون)، وأخبرته أنها تلقت شيكا بحمسة آلاف دولار، وتذكرتى سفر وإقامة لـ (مصر)، منذ أربعة اشهر، وفي (القاهرة)، كانت هناك سيارة فى انتظاره، حملتها الى فيلا فى حي المعادى، وقام مندوب من شركة امريكية بالإشراف على جولة سياحية لها، ثم عادت الى (باريس) بعد اسبوع، محملة بالهدايا، ولا نعلم من فعل هذا ولماذا؟! طالع الوزير البرقية فى اهتمام، قبل ان يضمغم، فى تفكير عميق: - (ن-1).

ثم رفع عينيه الى لقبه، مستللاً:

- وماذا ايضاً؟

دفع امامه القلب برفية اخرى، وهو يقول:

- (لنادر)، رجلك فى (مارسيليا)، ارسل تقريراً يقول فيه: ان السيد (قدرى) قد تعرض لهجوم قاتل، ولكن ذلك السلق الفرنسى انقذه منه، بمهارة قتالية عالية.

اتفقد حاجباً مدير المخابرات فى شدة، وهو يقول:

- مهارة قتالية عالية؟! ... هل نظن انه ...

ثم يكمل سوائه، ولكن تلبه انتظر بضع لحظات، ثم قال:

- رجالتنا راوا السيد (قدرى) بجانب شعره فى المطار، ويتأكد من انه ليس شعراً مستعاراً، والقسم الفنى أكد انه من المستحيل تثبيت أى شعر

مستعار، بحيث يمكن جنبه بهذه القوة، دون انزاعه من مكانه.

تراجع مدير المخابرات فى حيرة، وهو يقول:

- عجباً!!! ... ان لم يكن (ريو) هذا هو (ن-1) متكرراً، فمن يمكن ان يكون؟! ...

او ما لقبه براسه، إيماءة ليست ذات معنى واضح، قبل ان يقول، وهو يدفع تقريراً داخلياً، امام عيني الوزير مباشرة:

- هذا ما كنت الخره للتهلية.

ثم تبع، قبل ان يقرأ الوزير التقرير:

- عقب محاولة الاعتداء عليه، أجرى السيد (قدرى) اتصالاته بمكتب امن

سفارت فى (باريس)، وأخبرهم انه جاء الى (مارسيليا)، بناءً على

معلومات ابلاغه بها شخص يدعى (حامد إبراهيم)، من القرية النوبية فى

(اسوان)، وأنها قادتته الى البحث عن عجوز غجرية، وهى (جوزى)،

ولكنه فوجئ بانها قد فارقت الحبة، منذ عام، ولقد طلب الرجوع الى

(حامد إبراهيم) هذا لمزيد من التفصيل حول الامر.

غمغم الوزير:

- إذن فقد قرّر (قدرى) التعاون معاً بإرادته.

هز القلب رأسه مرة أخرى، قائلاً:

- ليست هذه المشكلة سيادة الوزير. ولكن السيد (قدرى) اشار الى ان

(حامد إبراهيم) هذا، هو نوأم المهندس (سالم إبراهيم)، جار سيادة

العميد.

تطلع اليه المدير لحظات في صمت، ثم اشار بيده، قائلا:

- اكمل يا رجل ... من الواضح انه هناك امر ما.

او ما التلقب براسه ايجلبا، وقال:

- بمراجعة قوائم السفر والتوصول، تبين ان المهندس (سالم ابراهيم) قد سافر الى (فرنسا)، على متن الطائرة، التي اقلعت اليها، قبل طقرة السيد (قدري) مباشرة.

مال المدير الى الامام في اهتمام شديد، فتبع التلقب، وهو يشير الى التقرير:

- ولكن تحريكت التبت ان المهندس (سالم) مازال قيد الاستشفاء، في فندق جزيرة (ايزيس)، في (اسوان)، ولم يغادره، حتى هذه اللحظة.

ارتفع حلقيا الوزير، وهتف في الفعل:

- هل تعنى ان ذلك الذي سافر، يمكن ان يكون ..

مرة اخرى لم يتم سوائه، من فرط انفعاله، فعاد نلقه يشير الى التقرير.

قللا:

- التحديد الحقيقي ان يسيادة الوزير - فعندما واصلنا تحريكت، للتوصول الى (حامد ابراهيم) هذا، وجدنا حقيقة عجيبة.

سأله المدير، وهو يحاول السيطرة على انفعاله:

- ماذا عنه أيضا؟!

مال التلقب نحوه، مجيباً:

- انهم يظنقون عنه، في القرية النوبية، اسم (حامد ابراهيم)، ولكن الواقع ان هذا ليس الاسم المدون في بطاقة هويته الرسمية، وهي عادة شعبية، في بعض مناطق (مصر)، حيث يكون للشخص اسم رسمي، في هويته الرسمية، واسم علقى، يخاطبه المقربون به.

اشار المدير بيده، في انفعال أكثر، وهو يقول:

- ما اسمه الرسمي يا رجل ؟ ... أجب.

مال التلقب نحوه أكثر، وهو يجيب في حزم:

- (سالم) ... (سالم ابراهيم) ... إنه ليس توامه يا سيادة الوزير ... إنه الشخص نفسه.

وكلت مفاجأة مذهلة...

بكل معنى الكلمة....

* * *

انطلق (ريو) سيارته في صمت، عبر شوارع (مارسيل)، وراقب في مرآة سيارته الداخلية (قدري)، الذي بدا شارداً مهموماً، ثم سأل في حذر:

- اهناك اقتراح ما؟!

رفع (قدري) عيبيه الشاردين إليه، وكأنه يراه لأول مرة، واطقت منهما

تعبد إليك شهيتك.

ثم ضم أصابعه. وقبلها بأسنوب شعبي، قبل أن يفزع بيده، هاتفاً في مرجح:
- إنها رائعة.

اشاح (قدري) بوجهه، قفلاً:

- ليمس الآن.

بلت دهشة حقيقة على وجه (ريو)، وهو يقول:

- عجائب مسيو ... هيتك لا توحى أبداً بعزوفك العجيب هذا عن الطعام.
غمغم (قدري) في حزن:

- فيما مضى، كان مجرد الحديث عن الطعام يسبّل لعلي، ولكن منذ ...

لم يستطع إكمال حديث. مع دمة ترفقت في عينيه، فتنطع إليه (ريو)

مرة أخرى. عبر مرآة السيارة الداخلية، في إشفاق شديد، ثم غمغم عبر

هاتفه، قبل أن ينهي مكالمته مع زوجته:

- أنت تعطينين أين أنا ... ماعلود الاتصال بك مرة أخرى.

التفت حجبته في شدة، عقب إنهاء المحادثة، وهو يراقب سيارتين

قويتين، ربيعتي الدفع، تقربان في سرعة، وضغط دواسرة الوقود في

سيارته، وهو يقول:

- يبدو أن هذا اليوم لن ينتهي يا مسيو.

التبته (قدري) إلى العبارة. فاعتدل يسارته في توتر:

- ماذا هناك أبصاً؟!

حيرة، كما لو أنه لم يفهم السؤال، فأشار (ريو) بيده، قفلاً:

- اننا نطلق بلا هدى، منذ ما يقرب من الساعة، فهل تقترح شيئاً ما؟!

بدا (قدري) أكثر حيرة، وهو يقفم:

- لست أدري.

سأله (ريو) ميتسماً:

- اعرف مطعماً مدهش للمأكولات البحرية هنا، ما رأيك لو ادعوك إلى

وجبة رائعة، و...

قلطعه (قدري) في توتر:

- ليست لدى أية شهية للطعام.

لقى عليه (ريو) نظرة مشفقة، عبر مرآة السيارة الداخلية، ثم التقط

هاتفه، وطلب رقم في سرعة، قبل أن يقول بالإسبانية عبر الهاتف:

- حبيبتي ... أنا بخير ... كيف حالك انت ... نعم ... ما زلت مع ذلك

الصديق الجميل من (مصر) ... لا بأس ... سأقترح عليه هذا.

لم التفت إلى (قدري)، قفلاً بالفرنسية:

- روجتي ندعوك إلى وجبة إسبانية دسمة في منزلك.

غمغم (قدري) في ضيق:

- أخبرتكم أنه ليست لدى أية شهية للطعام.

غمز (ريو) بعينه. قفلاً:

- الطعام الإسباني لا تمكن مقاومته ... رائحة التوابل نفسها، يمكنها أن

8 - سيل المفاجآت ..

ارتفع حاجبا الدكتور (احمد صبرى)، جراح المخ والاعصاب الشهير، عندما فوجئ بمدير المخابرات العامة المصرية، امام باب منزله، فى تلك الساعة، وبدا انفعاله واضحا، وهو يقول:

سيادة الوزير؟! ... ياله من شرف، ان التقي زيارتك هذه، فى منزلى المتواضع.

ابتسم مدير المخابرات، وهو يقول، مشيرا بيده:

- وهل ستدعونى اليه؟!

افسح الدكتور (احمد) المجال، وهو يقول بنفس اللفظ:

- بالتأكيد يا سيادة الوزير ... تفضل على الرحب والسعة.

دلف الوزير الى المنزل، فى حين التقى الدكتور (احمد) نظرة خارجة،

فانشأ الوزير بيده مرة اخرى، وهو يقول:

- طاقم حراستى لن يتضم ابنا، فحديث وذى للغاية.

اغلق الدكتور (احمد) باب المدخل والتفت الى مدير المخابرات، قائل:

- انت مرعوب بكه فى منزلى يوما؟ سيادة الوزير.

جنس الوزير على مقعد قريب، وأشار للدكتور (احمد) بالجلوس امامه،

وهو يقول فى جدية:

كانت السيارتان القويتان تقتربان فى سرعة، مع الفارق الكبير فى قوة المحرك، بينهما وبين سيارة (ربو)، والتفت (قدرى) ينظر إليهما فى توتر، فى نفس اللحظة التى صرخ فيها (ربو)، وهو ينحرف بالسيارة، فى حركة حادة:

- اخفض راسك.

ومع اخر صرخته، انهالت الرصاصات على السيارة كالمطر...

وبمنتهى العطف.



- انت تذكر بالتأكيد ما حدث في حفل زفاف شقيقك

بدا الاسى على وجه الدكتور (احمد)، وهو يقول:

- لا يمكننى مع هذا من ذاكرتى ابدأ.

تطلع اليه مدير المخبرات لحظات، ثم قال فى حسم:

- لقد اخبرتلى انك قد رايت يد المقدم (منى) تتحرك، بعد ان نقلها (ن-1)

الى ميارته.

بدا الحذر على وجه الدكتور (احمد)، وهو يجيب:

- هذا صحيح.

اعتدل مدير المخبرات على مقعده، قائلًا:

- عندما استعنت تلك الذكرى، وجدت امرًا يدعشنى، ولا يتفق مع كل ما

اعرفه عنك.

تزايد حذر الدكتور (احمد)، وهو يتسائل:

- اى أمر يا سيادة الوزير؟!

تقرس مدير المخبرات ملامحه لحظة، قيل ان يقول:

- (ن-1) هو شقيقك الوحيد، وعلاقتكم قوية للغاية، وخاصة بعد مصرع

واغتتيال والدكما فى (لندن) ... اليس كذلك؟!

تمتم الدكتور (احمد)، وهو يشيح بوجهه، فى محاولته لإخفاء انفعاله:

- بالتأكيد .

بدا المدير صارماً، وهو يقول:

- وعلى الرغم من هذا، فقد واصلت حياتك على نحو طبيعى، لا يتفق مع

حزن شقيق، على فقد شقيقه الوحيد .

لم ينبس الدكتور (احمد) ببنت شفة، ولكن توتره افسح عن الكثير،

وخاصة بالنسبة لعينين فاحصتين خبيرتين، فتابع مدير المخبرات،

محاولاً تهللة الحوار :

- الواقع النى، لو كنت فى موضع (ن-1)، ومع ما به من اصابات، وما

اصاب زوجته وحبيبة عمره، وشعرت بلها تحتاج الى اصبع خبيرة،

والى اسعاف طبى دقيق، واخشى فى الوقت ذاته، ان يستغل اعدائى

لحظت ضعفى الزائدة، فساحول اللجوء الى اكثر شخص اثق به. فى هذه

الحبة ... شخص لديه كل المهارات الطبية اللازمة، وسيبذل حياته. لو

اقتضى الامر، فى سبيل حميتى. والنقاد الإنسقة، التى لا التردد فى بذل

حياتى من اجلها.

اشاح الدكتور (احمد صبرى) بوجهه اكثر، وهو يفمغم، فى توتر شديد:

- الواقع يا سيادة الوزير ...

قطعه الوزير، فى صرامة شديدة:

- لماذا عادت مكان الحفل بهذه السرعة، عقب ما حدث؟!

جف حلق الدكتور (احمد)، مع السؤال المباغت، وتم بحر جواش. فتابع

مدير المخبرات بنفس الصرامة:

- عندما اعدت فحص سجلات هاتفك الخاص، وجدت انك قد تلقيت

اتصالاً، من رقم مجهول، عقب انصراف (ن-٩)، وهو يحمل المقدم (منى) المصلي في سيارته ... وطبقاً لمعلوماتنا، فليكن هم من يمتلكون ارقاماً غير قابلة للتظهور في (مصر) .

جف حلق الدكتور (احمد) اكثر، ومال الوزير نحوه بشدة، وهو يسأله بكل الصرامة:

- من أجرى اتصاله بك يا دكتور (احمد)؟!

صمت الدكتور (احمد) لحظت، وبدا وكأن صراعاً عنيفاً، يعمل في نفسه، قبل أن يجيب، في صوت شديد الخفوت:

- (ادهم) .

نجح المدير في سماع الاسم. على الرغم من خفوت الصوت، فاعتدل في ارتياح، وهو يقضم:

- لقد كنت على حق، فيما ذهبت إليه إذن.

حاول الدكتور (احمد) ان يقول شيئاً، الا أن جفاف حلقه الشديد اعجزه عن هذا، فتمتم في صهوية:

- احتاج إلى جرعة ماء.

اشار إليه المدير بيده، فلهض بحضر زجاجة ماء. شرب تصلها على الأمل، قبل أن يقول المدير في حزم:

- إنهما على قيد الحياة اليس كذلك؟!

تردد الدكتور (احمد) لحظت. ثم قال:

- إصابات (ادهم) كانت محدودة، وامكنني إسعافه إلى حد كبير، اما إصابات (منى)، فقد كانت شديدة الخطورة.

كرر المدير في توتر:

- ولكنهما على قيد الحياة.

تابع الدكتور (احمد)، وكأله لم يسمعه:

- (ادهم) كن يرغب في الاختفاء تماماً، حتى يستعيد عافيته. وحتى يمكن

أن تنجو (منى): لأنه كان واثقاً من أن أعدائه سيواصلون تربصهم به

وبها. لو علموا أنهم على قيد الحية ... ولأن خبرته بعالمكم باثقة، فقد

راى أن وجوده في أي مكان تعرفونه. يمكن أن يفودكم إليه، وما دمتم

تستطيعون التوصل إليه، فعدائه سيستطيعون .

تسأل المدير، وهو يكتم انفعاله في صهوية:

- أهذا مبرر اختفائه؟!

اجابه الدكتور (احمد)، وهو يشعر أنه يفشى سرّاً خطيراً:

التواقع أنه كان يشعر بالآلم: لأن ما أصاب (منى)، كان سبب رغبة أعدائه

في الخلاص منه؛ لذا فقد أقسم الايهود إلى عالم المختبرات. قبل أن

تنجو، وتتعافى أيضاً.

قال المدير، في اهتمام شديد:

لقد بحثنا عنهما في كل مكان، ولم نثرثر على أي أثر لهما. ولا حتى على

سيارة

(الدهم).

أشار الدكتور (أحمد) بيده، قائلاً:

- على الرغم من إصابته، كان (الدهم) يدير الأمور في سرعة، ودون إضاعة لحظة واحدة، بحيث يقود أعدائه إلى مسارات وهمية، تربكهم، وتشتت جهودهم، إلى أن يبلغ القدرة على مواجهتهم، ويؤمن الرعاية والحماية لزوجته، في الوقت ذاته.

انعقد حلجبا المدير، واستعاد صرامته، وهو يقول:

- ثم احصل على اجوبة شافية بعد .

زفر الدكتور (أحمد) زفرة حارة، وقال:

- سيارة (الدهم) ترقد في قاع الليل... لقد قننته بنفسى إلى منطقة شبه خالية بالقرب من (حلوان)، وتركته تسقط في الليل، بناء على طلبه. سألته في صرامة:

- وماذا عن (منى)؟!

أشار الدكتور (أحمد) بيده مرة أخرى، وهو يجيب:

- لقد طلبت منه اللجوء بها إلى عيادة خاصة لصديق قديم، له باع طويل. في علاج إصابات الحروب، وهناك حوثت حجرة عمليات، متحققة بعيناته، إلى مستشفى خاص، أجرى فيه صديقى خمس عمليات جراحية متواليه لـ (منى)، مع وضعها تحت رعاية خاصة، حتى تجاوزت مرحلة الخطر.

تنفس مدير المخبرات في ارتياح شديد، وهو يهضم:

- إذن فهما على قيد الحياة.

هز الدكتور (أحمد) كتفيه، مجيباً في حذر:

- (منى) تحتاج إلى فترة نقاهة طويلة، وقد تتعرض إلى نكسة شديدة، لو واجهت غفلاً من أى نوع. كان من الواضح أن الدكتور (أحمد) يحاول إخفاء شى ما، فسأله المدير في حزم:

- أمازالا في (مصر)؟!

هز الدكتور (أحمد) رأسه نفي، قبل أن يجيب:

- كلا، ما أن استعانت (منى) قدرته، على الوقوف على قدميه، حتى قرّر (الدهم) أن يسافرا خارج البلاد، إلى مكان لا يصل إليهم فيه اعداؤهم قطر.

سأله المدير في لهفة، ثم استطع كتمتها:

- إلى أين؟!

عط الدكتور (أحمد) شفتيه، واجاب ملوفاً بيده:

- ليست اذرى..

انعقد حلجب المدير مرة أخرى، في صرامة عضبية، وهو يعتدل في مقعده، قائلاً:

- دكتور (أحمد).

أجابه الدكتور (أحمد) في سرعة:

السيارة الاخرى، وبعض الموجودين بها، قبل ان تهتف (نيا) من احدهما :

« اللعة ... إنه هو .

ادار (ريو) عجلة قيادة سيارته، في مهارة مذهمة، فدارت حول نفسها، متخذة مسارا عكسياً، ثم الدفع بها يعبر الطريق الرملى القصير، الذى يفصل اتجاه السير، ويقفز بها إلى الاتجاه العكسى، ثم يطلق سرعته العنان ...

ومن اسفل المقعد الخلفى، هتف (قدري) :

« ماذا يحدث؟! ...

صاح به (ريو) فى صرامة:

« ابقى منخفض .

كانت السيارتان القويتان قد اسدارتا بدوريهما، وعبرتا الطريق الرملى القصير ايضا، وانطلقا تحاولان اللحاق بسيارة (ريو)، الذى زاد من سرعة سيارته إلى الحد الاقصى، وهو ينطلق فى خط مستقيم. الا ان السيارتين اقتربت منه مرة اخرى، فى نفس الوقت الذى رفع فيه (قدري) راسه، فقلبا فى اضطراب :

« لماذا يسعون لقتلى؟! ...

صرخ فيه (ريو)، وهو يدير عجلة قيادة سيارته فى قوة:

« قلت: ابقى رأسك منخفضاً .

« القسم لك اننى لست ادرى ... (ادهم) احبرنى ان افضل وسيلة لحفظ اى سر، هى الا يتجاوز صاحبه ... كل ما اعلمه انه كانت لديهم جوازات سفر، اعطاها لها (قدري)، منذ زمن ليس بالبعيد، وانهم سيستخدمها للسفر، ولكن (ادهم) لم يخبرنى الى اين تطلع إليه المدير لحظفت، لم اغلق عينيه، وهو يفمقد:

« ولكنهم على قيد الحياة ... هذا هو المهم ...

وكان على حق تماماً ...

فرواية الدكتور (احمد) تقول : ان (ادهم) و(منى) مازالا على قيد

الحياة ...

وهذا هو الأهم ...

فى الوقت الحالى على الأقل ...

احتطت السيارتان القويتان - رباعيت الدفع، بسيارة (ريو)، وانطلقت منهما الرصاصات كالمطر، على جالبي سيارته ..

وبيم انجس (قدري). فى محاولة لتفادى سيل الرصاصات، ضغط (ريو) فرامل سيارته فى قوة، فتخففت سرعتها على نحو مدهش، جعل السيارتين تتجاوزانها بعدة امتار ...

ومع التراجع المفاجى، انطلقت الرصاصات من كل سيارة، لتصيب

وثبتت السيارة فجأة، من الطريق إلى حقول جليبية، وعلى نحو أربك السيارتين المطاردتين. فصلحت (نيا) في قائد سيارتها في غضب:
- سأقتلك لو أفلت منك.

وثبتت السيارتين بدوريهما، حلف سيارة (ريو)، الذي اخترق الحقول الكليقة في سرعة، وهو يقول مازحاً، على الرغم من دقة الموقف:
- من حسن حظنا أن موعد رى الحقول لم يحن بعد.

لم يستطع (قدري) مقاومة قلقه، فرفع عينيه، على الرغم من تحذير (ريو):
- لنلق نظرة على مطارديه، واتسعت عيناه في رعب، عندما شاهد السيارتين القويتين تقتربان من سيارة (ريو)، واحد ركاب السيارتين يبرز مع مدفعه الآلي، فصاح. وهو يخفض رأسه مرة أخرى:
- سيطلقون النار ثانية.

لم يكن (ريو) بحاجة إلى ذلك التحذير، بعد أن لمح المشهد، في مرآة سيارته الجليبية، فالتحرف بالسيارة مرة أخرى في حدة، منطلقاً نحو بقعة، تتكثف فيها الأشجار، وهو يقول في صرامة:

- دعنا نخبر مهارتهم، في القيادة بين الأشجار.

طاشت رصاصات المدافع الآلية مرة أخرى، مع انحرافاته المفاجئة. واتحرجت السيارتان خلفه، ولكنه اتحتم منطقته الأشجار الكثيفة، وانطلق بين الأشجار المنقرية، في مهارة فائقة، وحاولت السيارتان القويتان خلفه مجاراته. إلا أن حجم سيارته الأصغر كان مفيداً هذه المرة، وسط

الأشجار المتقاربة، إذ لم تتجح إحدى السيارتين في تفاعلي الأشجار. قارنظمت بواحدة منها في قوة، في حين احتجز تقارب الأشجار السيارة الثانية، والتي كانت تسنقلها (نيا)، التي أطلقت صرخة غاضبة. وهي تشاهد سيارة (ريو) تبعد، وهي لتفاعلي الأشجار في مهارة بالغة، على الرغم من سرعتها، حتى نوارت عن الأنظار تماماً، فالتفت إليها قائد سيارتها في هلع، وهو يقول مرتجفاً:

- لقد حاولت يا سيئتي، ولكن ...

قبل أن يتم عبارته، كانت رصاصاتها تخترق رأسه، وهي تقول في غضب:

- أخبرتك أنني سأقتلك، لو أفلت منك.

امتنعت وجوه من تبقى من رجالها، في حين اعادت هي مسدسها إلى حزامها، كما لو أنها قد أطلقت النار على جرد صغير، وهي تسال في هدوء، لا يتناسب مع الموقف:

- كم تبقى من رجالنا؟!

اجابها احدهم، محاولاً إخفاء ارتجافه صوته:

- لقد خسرت سبعة رجال، وتبقى ثلاثة فحسب.

مطت شفيتها، مضغمة:

- هذا يكفي.

ثم التفتت هاتفها، وطلبت رقم ذات اليد التامة، ولم تكد تسمع صوتها.

حتى قالت في حزم:

- إنه هو.

وانتهت الاتصال، دون ان تضيف حرفاً واحداً...

اي حرف...

"رصاصاتهم قتلت رجليهم..."

نطق (ريو) العبارة في لا مبالاة، وهو يخرج جثتي الرجلين المقيدين، من

الحقيبة الخلفية لسيارته، وراقبه (قدري) في صمت، وهو يحاول مسح

الدماء من الحقيبة، مضيقاً:

- لقد اطلقوا النار بغزارة، على مؤخرة السيارة ايضاً.

غمغم (قدري)، وهي يواصل التطلع اليه:

- لو ان رصاصاتهم اخترقت حقيبة السيارة الخلفية، وقتلت زميليهما،

فلماذا لم تخترق جثتي السيارة ايضاً؟!

اجبه (ريو) في بسطة:

- ابواب السيارات كلها مزودة بحواجز معدنية ... هكذا يحتم قتلون

المرور.

تطلع (قدري) لحظلات أخرى. إلى ملامح (ريو) الهادئة، على الرغم مما

واجهه، ثم قال، في شيء من الصرامة:

- مهارتك في القيادة تفوق المعتاد.

ابتمسم (ريو)، وهو يشير إلى صدره، قائلًا:

- (ريو) ملك التاكسي.

قل (قدري) في بطء صارخ:

- مهارتك تفوق هذا بكثير.

بدا (ريو) مزهزجاً، وهو يقول:

- (ريو) يشعر بفخر حقيقي.

التعد حجب (قدري)، وهو يتفحص ملامحه في امعان، قائلًا:

- كيف سببر النار الرصاصات في سيارتك؟!

هز (ريو) كتفيه، قللاً في بسطة:

- لن يكون هذا سهلاً بالتأكيد.

ازداد التعداد حاجبي (قدري)، وهو يقول في حزم:

- لماذا لا تفصح عن هويتك الحقيقية يا (أدهم).

توقف (ريو)، واطلق زفرة حارة، قبل ان يقول:

- لقد سلمت هذا في الواقع.

واغلق الحقيبة الخلفية لسيارته في حدة، وهو يتجه نحو (قدري)،

وينحني أمامه، قائلًا في شيء من العصبية:

- هيا ... احبب شعري وحجبي كما يحلو لك يا مسيو، لكي نوقف من التسي

لست متكرراً.

استمتع بما نمر به، على الرغم من خطورته.

هز (قدرى) رأسه، نقياً، وهو يقول:

- هذا ليس كافياً لإقناعي.

ثم رفع سبيلته، مضيقاً في صرامة:

- فمازلت لا أؤمن بالمصادفت.

صمت (ريو) مرة أخرى، وهو ينطلق إليه، قبل أن يقول في بضع:

- حسناً ... أنت تفوز .

خفق قلب (قدرى)، وهو يغمغم:

- بماذا؟!

لوح (ريو) بذراعه، بحركته المسرحية المعتادة، وهو يقول:

- أنت على حق ... الأمر ليست به أية مصادفت.

خفق قلب (قدرى) أكثر، وهو يغمغم في الفعّال:

- حقاً؟!

مال (ريو) نحوه، قتلًا:

لقد كنت في انتظارك، من قبل حتى أن نهبط طائرتك، في مطار (اورلى).

ثم استدار يلتقط شيئاً من درج سيارته، واعتدل يضعه أمام وجه (قدرى)

مباشرة، مستطرداً:

- وكانت معي هذه.

حدّق (قدرى) في صورة كبيرة له - يحملها (ريو) في يده، وشعر بنهضة

هم (قدرى) بجذب شعره وحاجبيه بالفعل. لولا أن بدّله سخافة هذا، فقال في عصبية:

- مهارتك في القيادة احترافية إلى حد مذهش، وهؤلاء اعصابك في احلك المواقف، بنم عن خبرة واعتياد، لا يتميز بهما أى سلق عادى.

اعتدل (ريو)، وهو يقول في ضيق:

- اخبرتك أكثر من مرة، اننى لست سلق عادى... انا ملك سلقى

التاكسى، في (اوربوا) كلها، ولم اخف عنك اننى قد تنقيت تدريجاً مكثفاً،

في المخابرات السوفيتية.

التدفع (قدرى) يقول في حدة:

- ولكننى، ككل من يعمل في مجالى. لا أؤمن بالمصادفت.

بدا (ريو) حذراً، وهو يقول:

- أية مصادفت؟!

مال (قدرى) نحوه، وهو يقول بنفس الحدة:

- لا يمكن أن تقتضى منها مصادفة سحنة، ان اصل الى (باريس)، فوجد

عميلاً سبقاً للمخابرات السوفيتية. يعرض على أن يقتلنى الى حيث اريد،

ولديه استعداد لمواجهة مخاطر رهبة، كاللنى واجهناها معاً، لهن حتى ان

يشكو لى يخالف .

نطلق إليه (ريو) بصع لحظت في صمت، قبل ان يلوح بيده، قتلًا:

- يمكنك أن تقول: إن حنيتى لايام العمل، كعميل للمخابرات، يجعلنى

نحوهما، قاتلة في ظفر:

- أخيراً يا (ادهم) .

واتسعت عينا (قدرى) عن اخرهما، عندما اعقت قولها بالضغط على زناد

مسدسها ..

وانطلقت رصاصتها ..

نحو الهدف ...

مباشرة.



شديدة إلى جرعة ماء، وهو يقول بصوت مختلق:

- إنها صورتي.

خفض (ريو) الصورة، وهو يلوح بذراعه الأخرى، قتلا:

- (لوجراند) اعطني إياها، وطلب مني أن أنظر قدمك، وإن اطل منك،

حتى نقرر العودة.

عاد حلقيا (قدرى) يتعقدان بشدة، وهو يغمغم:

- (لوجراند)؟! ... أهذا اسم من أرسلك، أم صفته؟!...

هز (ريو) رأسه، قتلا في اعتزاز:

- لست أدري ما اسمه بالضبط، ولكنه يستحق لقبه عن جدارة ... لقد

عاشتني قديماً، في الخلاص من ملاحقة المخابرات السوفيتية، وسقط

مديناً له بالفضل ما حييت .

شعر (قدرى) بحرارة تسرى في كيانه، وهو يميل نحوه، ليساله في تهفة:

- هل يمكنك أن تصف لي (لوجراند) هذا؟!...

رفع (ريو) عيبيه. إلى ما خلف ظهر (قدرى)، وهو يقول:

- لست أظن الوقت يسمح بهذا.

ثم جنب إليه (قدرى) فجأة، ودفعه معه جنباً، في نفس اللحظة التي

انطلقت فيها رصاصته، تجاوزتهما، مع حركتهما المفجبة، واختبرت

الزجاج الجانبي لسيارة (ريو)...

ومن بين الأشجار، برزت (نيا)، مع رجالها الثلاثة، وهي تصوب سلاحها

9 - علامة استفهام !..

"توصلنا إلى المعلومات، يا سيادة الوزير...."

التفت مدير المختبرات المصرية إلى نائبه، الذي نطق العبارة في اهتمام، وبدأ تحفظ وكأنه شاردًا بأفكاره بعيداً، قبل أن يقول في ببطء:
- حقا؟!

تقدم نائبه نحوه، ووضع النتائج أمامه، وهو يقول:

- سيادة العقيد استخدم مع المقدم (منى) جوازى سفر، اعدهما السيد

(قدرى) لهم منذ عشرين، كجرائم احترازية. عند الحاجة إليهم، وهم

يحملان هوية بولندية. بسم السيد والسيدة (كازانسكى)، والمفترض

أنهم قد تخطى السبعين من العمر، وهذا سيمنحهما الكثير من

التسهيلات، فى معظم مطارات العالم، وسيبرز أيضا حالة الضعف، التى تم

تكن المقدم (منى) قد تجاوزتها بعد، عندما غادرا (مصر).

سأله المدير فى انتباه، وقد فارقه شروده:

- إلى أين؟!

أجابه بلبه فى سرعة:

إلى (المجر) فى البداية، ثم إلى (تركيا)، ولقد فقدنا أثرهما بعد هاتماما.

انعتقد حاجبا المدير، وهو يقول:

- هذه واحدة من سمات (ن-1)... لن يمكنكم العثور عليه، إلا لو قرّر هو نفسه هذا.

لوح نائبه بيده، قائلا:

- الواقع أنه جميعا نشعر بالدهشة، من امرجوزات السفر الزائفة تلك،

فكل المطارات الحديثة الآن، تستخدم وسائل الكترونية دقيقة؛ لكشف

صحة جوازات السفر والتأشيرات، فكيف يتجاوز السيد (قدرى) هذا؟!

غمغم المدير، وقد استعاد شروده:

- ألم أخبرك إن (قدرى) عبقريّة، يصعب تعويضها؟!

ثم اعتدل فجأة فى مقعده، وتساءل فى اهتمام:

- لقد أجرينا. قبل اختفاء (ن-1)، بعض التحريات غير الرسمية، بشأن

ابنه (ادم)، الذى اتجه من (سويسرا) إلى (البحر المتوسط)؟!

أوما نائبه برأسه إيجاب. وهو يقول:

- بلى يا سيادة الوزير، ومن عجب القدر، أن نتلج التحريات لم نصل،

إلا عقب اختفاء سيادة العميد وزوجته.

مال المدير إلى الأمام، وسأله:

- وما الذى أسفرت عنه؟!

أشار النائب بيده، قائلا:

- (ادم صبرى) تم إلحاقه بمدرسة داخلية فى (بنر سيج)، تحت اسم

(آدم سياسكى)، وباعتباره ابن مهاجر من رومانيا. يتميز بالثراء

- وهذا يضيف حيطاً آخر، في رحلة البحث عن الرجل ... رجل المستحيل.
وكان على حق في قوله هذا ...
تماماً ...

* * *

لوت الرصاصة بصوت مسموع، وتردد صداها وسط تلك المنطقة كثيفة
الاشجار، والتفّض مع ذويها جسد (قدري) في شدة ...
ولوهة، تُوَقَّع ان تكون الرصاصة قد اخترقت قلب (ريو)، واسقطته جثة
هامدة ...

وتوقع ان تكون الرصاصة التالية من نصيبه هو ..

ولهذا فقد اغلق عينيه في شدة ...

لحظة واحدة فقط ..

وخلال تلك اللحظة. سمع (تيا) تطلق سبياً باللغة الصينية. وسمع وقع

اقدام تطو، و ...

وفتح عينيه ...

وما أن فعل، حتى اتسعت عيناه عن آخرهما ...

فلقد كان اثنان من رجال (تيا) يتبادلان إطلاق النار، مع هدف يكمن في

نقطة. تصعب على عينه رؤيتها، في حين كانت (تيا) تعو ميتهدة. واحد

رجالها يعو خلفها. ويستدير كل لحظة وأخرى، ليطلق النار نحو جسد

الفاكش، وكل الإجراءات تمت بمعرفة شابة صينية، وصفوها بأنها بالغة
الحسن.

تراجع المدير في مقعده، ورفع سببته، وهو يقول في حزم:

(تيا).

اشار القلب بيده مرة أخرى، هتافاً:

- بالضببط

هزّ المدير راسه، وهو يعود الى شروده بضع لحظات، قبل ان يقول في

حزم:

- اطلب من احد رجالك في (اسرائيل)، ان يبحث اية تطوّرات، بشأن

(آدم صبرى).

مسألة القلب في اهتمام:

- ما الذى تتوّقعه يا سيادة الوزير؟! ..

اجابه مدير المخابرات على الفور:

- مادامت قد نجحت في التوصل الى تلك المعلومات. فمن يعدم (ن-1)

وسيلة للتوصل اليه.

وصمت لحظة، قبل ان يضيف:

- واستعادة اليه.

اتعقد حليماً القلب في شدة، وكتبه يعتب نفسه، على انه لم ينتبه الى

هذا، في حين تابع مدير المخابرات في حزم:

قوى، بطاردهما في استماتة ...

ولدهشته البائقة، كان جسد (ريو) ...

ولم يفهم (قدري) ما يحدث!! ...

لم يفهم ابدا ...

فقليل ان يطفى عينيه، كالت الامور معكوسة تماماً ..

كان هو و (ريو) ارضاً ...

و (نيا) تصوّب مسدسها نحوهما ..

ولقد نطقت اسم (ادهم) ...

وضغطت الزناد ...

واغلق هو عينيه في قوة ..

فماذا حدث، خلال اللحظة، التي اغلق فيها عينيه؟! ...

ماذا؟! ...

كل ما استطاع إدراكه، في هذه اللحظة، هو ان مبدأه كصدي رصاصة

(نيا)، لم يكن كذلك ...

لقد كان دوى رصاصة اخرى، اطلقت بمسدسها، فور ضغطها الزناد ...

وربما لهذا لم تصب رصاصتها (ريو) ...

ربما!! ...

سقط احد الرجلين، في تلك اللحظة. برصاص الطرف الآخر، الذي مازال

عاجزاً عن رصده من مكانه، فاطلق الثلثي رصاصتين. ثم انطلق بعدو

وسط الأشجار، محلولا الفجار ...

وفي ارتباك مضطرب، حاول (قدري) ان ينهض، ولكن جسده الضخم جعل

هذا اشبه بنجبة رياضية اكرويلتية معقدة، حتى شعر بيد قوية تمسك يده،

وسمع صوفاً شاب، يقول بالعربية في لهفة:

- انت بخير يا سيّد (قدري) ؟!

رفع (قدري) عينيه الى (نادر)، ضابط المخابرات المصري، الذي اضاف

في ارتباك:

- من حسن الحظ انني واصلت مراقبتك .

اعتمد (قدري) على يده القوية لينهض. ونفض الغبار عن ثيابه، وهو

بغمغم:

- كان من المفترض ان تغضبني مطاردتك لي، على الرغم من اراداتي

واللتقط نفساً عميقاً، قبل أن يضيف:

- ولكنتي سعيد في الواقع أنك قد فعلت.

رَبَّت (نادر) على كتفه، قتيلاً:

- انت قيمة اكبر من ان تجازف بها يا سيّد (قدري).

دوى صوت رصاصة من بعيد، في تلك اللحظة، فالتفت (نادر) الى

مصدرها في تحفز وهو يشير مسدسه مرة ثلثيه، في حين امتنع وجه

(قدري)، وهو بغمغم في شحوب:

- رياه! ... (ريو).

قال (نادر) مستكراً:

- عميل المخابرات السوفيتية؟!

اجابه (قدري) في قلق:

- لقد جازف بالكثير لحمايتي، كم لو كنت شقيق له

القي عليه (نادر) نظرة مستكرة اخرى، مكرراً:

- ولكنه عميل للمخابرات السوفيتية.

ثم لَوَّح بيده، مضيقاً:

- من ادراك ان كل ما يفعله ليس سوى خدعة، لكي تفوده الى سيادة

العميد؟!

قبل ان يهدم (قدري) بالإجابة، برز (ريو) من بين الاشجار، وهو يثبث،

قتلاً:

- لقد افلتوا مني .

اتعقد حلجاً (نادر)، وهو يتطوع اليه بمنتهى الشك، ولكن (ريو) اشار

اليه، قتلًا:

- أأنت السيد الذي التقذ حياتي؟!

واتدفع نحو (نادر)، وهو يمد يده الى الامام، هتافاً:

- (ريو) يحمل لك كل الشكر والامتنان.

تجاهل (نادر) اليد الممدودة نحوه، وهو يقول:

- لماذا فر هؤلاء الثلاثة أمامك؟!

شد (ريو) قامته، ولم يبد عليه التائر، من تجاهل (نادر) لمصافحته،

وضرب صدره بقبضته، قتلًا:

- إنهم يفرّون امام (ريو) ... الملك .

قال (نادر) في صرامة:

- رجل اعزل، وثلاثة من المسحوقين!! ... هل يبدو لك ذلك طبيعياً؟!

القي السؤال ظلال الشك، في نفس (قدري)، الذي نقل بصره بين الرجلين،

في حين بليت الحيرة على وجه (ريو)، وهو يقول:

- ليس طبيعياً بالتأكيد ... لماذا فر ثلاثة من المسحوقين امامي في رايك؟!

قال (نادر) بكل الصرامة:

- اجبني انت؟!

مط (ريو) شففيه، ولَوَّح بيده، قتلًا:

- تست أجد تفسيراً منطقياً .

رمقه (نادر) بنظرة مثنوه، الشك، قبل ان يثبثت إلى (قدري)، ويقول

بالعربية في حزم:

- الأفضل ان ترافقني ب سيد (قدري)؛ فلم اعد اشعر بالاطمئنان، في

وجودك بصحبة رجل، اشبه بحقيبة من الغموض والأسرار.

ملل (قدري) نظرة بين الرجلين مرة أخرى، قبل ان يقفهم في خفوت

بالعربية:

- ولكن (ادهم) أرسله .

- سيادة العميد؟!

شعر (قدري) بقتيل من الحرج، وهو يجيب:

- بل (ريو) نفسه.

تمتم (ريو) في عصبية، عند سماع اسمه:

- نتحدثان عن (ريو)؟!

رمقه (نادر) بنظرة شك عصبية، قبل ان يمالئه في عدوانية واضحة:

- من أرسلك لانتظار السيد (قدري) في المطارب هذا؟!

التعد حجب (ريو)، وهو يلتفت إلى (قدري) بنظرة معاتبة، فغمغم هذا

الاخير، وهو يشيح بوجهه:

- يمكنك ان تجربه.

تردد (ريو) لحظات، قبل ان يجيب في ضيق:

- (لو جراند).

سأله (نادر) في دهشة:

- من؟!

غمغم (قدري):

- (لو جراند) ... أي الكبير ... هذا ما يصف به (ادهم).

التعد حليجا (نادر) لحظه، قبل ان يقول في صرامة:

- ومن ادراك؟!

التفت إليه (قدري) في دهشة، فتابع بنفس الصرامة:

النفص جسد (نادر): لدى سماعة الأسم، وهتف بتفاس مبهورة:

- سيادة العميد؟!

وبكل التفعاله، امسك يد (قدري) مضيقاً:

- هل ابتلك سيادة العميد (ادهم) بهذا؟! ... متى واين وكيف؟! ... هل

التقت به؟! ... اهو على قيد الحياة؟!

بنت حيرة متوترة على ملامح (ريو): عندما ازاح (قدري) يد (نادر) في

حدة، وهو يهتف:

- انك تولمنى.

افلت (نادر) يده، وهو يقول في الفعل مرتبك:

- معذرة ب سيد (قدري). ولكن الحديث عن سيادة العميد (ادهم)، اسطورة

عالمنا، اصبنى بالفعل، لم يمكنني السيطرة عليه.

غمغم (قدري)، وهو يختلس نظرة إلى (ريو):

- لقد كان في انتظاري فور خروجي من مطار (اورلى) في (باريس).

وكان يحمل صورتي، حتى يمكنه تعرفي.

سأله (نادر) في حذر:

- وكيف عرفت ان سيادة العميد من أرسله؟!

اجاب (قدري) في سرعة، لم تخل من التوتر:

- هو اخبرني.

تسأل (نادر)، والتفعاله بتصاعد:

- ماذا لو كان مصطلحاً، يشار به إلى زعيم منظمة إجرامية، أو ضابط
مخابرات لدولة معادية؟!

ارتبك (قدري)، وبدأ له السؤال منطقياً للغة، فغمغم:

- كنت على وشك سماع الوصف الكامل منه، لشخص (لو جرانلد) هذا،
عندما باغتنا تلك الصينية.

العقد حاجبا (نادر) لحظات أخرى، قبل أن يلتفت إلى (ريو)، ويسأله وهو
يتحسّن ممدسه في حذر:

- صف لي (لو جرانلد) هذا يا رجل.

هزّ (ريو) كتفيه، وقال في بسطة:

- إنه طويل القامة نسبياً، عريض المنكبين، مشقوق القوام. لديه لفة
بالغة بنفسه، ولهجة تجبرك على طاعته.

غمغم (قدري) في الفعل:

- (أدهم).

واصل (ريو)، وكلّله لم يسمعه:

ولقد تجاوز الستين من العمر بقليل، و...

قطعه (قدري) مبهوتاً:

- الستين.

قال (ريو) في ارتباك:

- كنت أتصور أنك تعلم هذا.

نوح (نادر) بيده، وقال في صرامة:

- دعك من مسألة العمر هذه يا رجل؛ فمن نسائك عنه سيبدو في أي عمر

يريد، ولكن أخبرني، ماذا طلب منك بالضبط؟!

أشار (ريو) إلى (قدري)، قللاً:

- إن التقى بالمسيو، وكون برفقته طوال الوقت، بية حجة أشاء، وإن

أحميه بحياتي، لو اقتضى الأمر، حتى يقرّ وحده العودة إلى وطنه.

تبادل (قدري) و(نادر) نظرة صامتة، مفعمة بالانفعالات، قبل أن يغمم

الأول مكرّراً:

- (أدهم).

التفت (نادر) إلى (ريو) مرة أخرى. وسأله في اهتمام:

وكيف تلتقي به يا هذا؟!

هزّ (ريو) رأسه، قللاً:

- هو الذي يختار الوسيلة والتوقيت دوماً.

مال (نادر) نحوه، يسأله في نهجة جديدة:

- وماذا لو ارتأت أن تخبره أية تطورات، بشأن السيد (قدري)؟!

بدأ وكان السؤال قد جاء مفاجئاً لتساق التاكسي الفرتسي، فقد تراجع

مبهوت، وراح يتقلّ بصره بين (نادر) و(قدري) عدة مرات، قبل أن يكرر

(نادر) سؤاله في صرامة:

- ماذا عليك أن تفعل عندئذ؟!

صمت (ريو) لحظات، ثم قال في بطء:

- سأخبركما ...

وكان ما أخبرهما به عجباً ومدهشاً ...

وللغاية ..

للمرة الثالثة، حاولت ذات اليد النعمة عبث، الاتصال بمسعدتها الصينية الحسناء (نيا)، الا انها لم تتججج في هذا، فالتقت هاتفها على فراشها الوثير في حدة، وهي تهتف:

- ما الذي يعنيه هذا؟!

كان آخر ماوصلها، من (نيا) في (مارسيتيا)، انها ورجائها يطردون ذلك السائق الفرنسي، صاحب الاصل الثلاثيني، والذي يحمل (قدري) في سيارته طوال الوقت. باعتبار ان مهرته توحي بانه (ادهم) الفعلي متكرراً ...

ثم انقطع الاتصال، حتى لا تنتقل (نيا) عن المطردة ..

والآن لا يجيب هاتفها ...

اندا ...

فماذا حدث؟! ...

ماذا؟! ...

ماذا؟! ...

بدا ذهنها يرسم دائرة الاحتمالات، ويرصّ المعطيات الى جوار بعضها

البعض، في محاولة لفهم سر عدم استجابة (نيا) ...

وكانت احتمالات لا حصر لها، بدءاً من احتمال فقدائها نهائياً، وحتى

احتمال سقوطها في قبضة (ادهم) ..

هذا لو ان ذلك السلق، هو بالفعل (ادهم صبرى) ..

كانت تشعر بالتوتر، الذي تضاعف عند وصولها الى هذه النقطة الاخيرة،

فاعانت تتساعل من منظور جديد ...

اهو بالفعل (ادهم)؟! ...

امن الممكن ان يكون كذلك؟! ...

لقد رصده رجالها، عند وصول (قدري) الى مطار (اورلى)، وشاهدوا

(قدري) يجنب شعره في قوة، على نحو يوحي بان الشكوك نفسها قد

راودته، في المرحلة الاولى ... ولم يفترباً منذ ذلك الحين ..

فكيف يمكن ان يكون هو نفسه (ادهم)؟! ...

كيف؟! ...

تبذل ثقتها الى غضب، عندما يدلت لها هذه الحقيقة، فغمضت في حق:

- يالك من لاعب ماهر يا (ادهم)! ...

لقد ارسل ذلك السائق بالتحديد. بما له من خبرة في عالم المخابرات، حتى

يصير سلاحاً تمويهاً ممتازاً، يصرف عنه الانظار ...

"جهان رصد..."

هاتف (نادر) بالعبارة في دهشة. وارتفع حاجبا (قدري) عن أحدهما. وهو يقول في انفعال:

هل تعني أنه يتابع كل ما يحدث، منذ وضعت قدمي في سيارتك؟!

اوما (ريو) براسه ليجبا، وهو يقول:

- بالتأكيد مسيو... (لو جراند) يتابع كل شيء، ويكثر من وسيلة... لو

رفعت مسجل السيارة من مكانه، ستجد خلفه جهاز استماع قوى. وفي

الحقيقة الخفية، يوجد جهاز تعقب، بالأقمار الصناعية..

وصت لحظة. هز حلاته كنفية، قبل أن يشير إلى السيارة. متبعاً:

- هذه حتى ليست سيارتي.. إنها تحمل نفس الأرقام. ونفس المواصفات،

ولكنها سيارة أعداء (لو جراند)، وزودها بكل ما يحتاج إليه؛ ليبقى على

التصال بالموقف، في كل لحظة.

تطعن (قدري) و(نادر) إلى السيارة في دهشة، ثم غغم الأولى:

- لهذا لم تبال كثيراً، عندما امطروه، بالترصصت!!...

هز (ريو) كتفيه، وابتسم لكون أن يجيب، فقال (ريو) في صرامة:

- هل تعني أنه يسمع حديثنا الآن؟!

تردد (ريو) لحظة، ثم قال في حذر:

- يفترض هذا.

اتجه (نادر) نحو السيارة في حزم. ومال وكأنه يحدثها، قتلاً بالعربية:

ولكن لو أن هذه هي الحقيقة، فلن هو؟...

ولماذا يريد صرف الأنظار عنه؟...

ما الذى يخطط له؟...

تصارعت الاسئلة في ذهنها طويلاً، قبل أن تشعل سيجارتها، وتلقف

نخلها في عصبية، ثم تلتقط هاتفها مرة أخرى، وتطلب رقم جديداً، وما

أن سمعت صوت محادثها، حتى قالت بكل الصرامة:

- (فرانسوا) ... إنه أنا ... اسمعني جيداً، ونفذ ما سامرك به على الفور،

ودون إضاعة لحظة واحدة... لا ... لن تبقى في (مarseille)... اجمع كل

رجالنا في (فرنسا) كلها، واصنع منهم جيش صغيراً، يتجه كله إلى هدف

واحد... لا ... اتس امر ذلك السلق... إن كنا لن نتجح في جنب غريمنا:

لمحاولة حمية صديقه، فمن المؤكد أننا سنلجح في إخراجه من مكانه:

لنلتزم له ... نعم ... لقد فهمتني... سينطلق جيشك الصغير، فور تكوينه،

نحو هدف واحد... قتل (قدري) ... وببيرة وسيلة ممكنة.

قانتها، ونفثت دخان بكل الانفعال...

وكل الشر...

بلا حدود...

10 - اليد الناعمة ..

فى توتر بلا حدود، راحت ذات اليد الناعمة تلتفت لخان سيجارتها، وهى تتحرك فى عصبية، فى حجرتها الفاخرة، فى مكان ما من قلب (أوروبا)، بعد ان عجزت طوال نصف ساعة كاملة، فى الاتصال بمساعلتها الاولى (آيا)، على الرغم من رنين هاتفها المتواصل...

ترى ماذا أصلب (آيا)؟! ...

ماذا؟! ...

اطفت سيجارتها فى عصبية، ثم التفتت واحدة اخرى، اشعلتها بكل توترها، وهى تهتف فى حدة:
- اين ذهبت؟! ...

ثم تكد تسهى هاتفها، حتى ارتفع رنين هاتفها بغتة، فوثبتت تنقطة فى لهفة، ولم تكد تتلقى نظرة على شاشته، حتى هتفت:
- آه ... (آيا)؟! ...

ضغطت زر الاتصال فى سرعة. وهى تقول فى صرامة عصبية:
- ايست؟! ...

التلصص جسدها فى عتف، عديم اى صوت مألوف، يقول فى صرامة، امتزجت برنة ساخرة:

- سيادة العميد ... لو انه انت، فكلنا لنأشذك ان تظهر. وان نزيل علامة الاستفهام، التى نحيط بمصيرك. ومصير سيادة المقدم (منى توفيق).
صدر صوت ازيز خافت من السيارة، فاعتدل (نادر) فى حركة حادة، واعتقد حاجبا (قدري) فى شدة، فى حين هتف (ريو):
- (لو جراند) لا يحب ان يتحدث اليه احد مباشرة، سوى (ريو).
التفت إليه (نادر) بحركة حادة، وغمغم فى خفوت:
- كذب.

شد (ريو) قامته، وهو يقول فى غضب:

- (ريو) لا يكذب ابدا.

ابتسم (نادر)، وهو يقول فى ارتياح:

- المشكلة التى يطقها بالعربية ... ياسيادة العميد.

اعتقد حاجبا (ريو) فى شدة، وحذق فيه (قدري) ذاهلا، وهو يغمغم:
- ربه.

وبكل انفعاله، اندفعت يده لتجنب حجب (ريو) الكش، ثم تراجع وجسده كنه يرتجف انفعالا، فى حين تهت (نادر) بتفلس مبهورة؛ فالتعجبة كالت عظيمة ...

بحق.

النيران، وتمتد منه إلى ماحوله، وضغمت في بغض وصرامة:

- افرقنا وسط الجليد، وهانحن ذا نلتقي وسط النيران.

ثم شلت قامتها، وغادرت المكان مسرعة، تاركة النيران لتلتهم كل شيء.
بلا استثناء...

* * *

انطلقت اهة الم من (ريو)، عندما جذب (قدري) حاجبه الكث، وهتف في
توتر:

- هذا مؤلم حقاً يا مسيو.

كانت مفاجأة مذهلة بحق، عقلت الكلمات على لسان (قدري)، في حين
نجح (نادر)، كرجل مخبرات محترف، في تجاوز اثر المفاجأة في سرعة،
وهو يقول:

- ولكنك

قبل ان يتم عبرته، فرك (ريو) حاجبه الكث، وهو يقول في غضب:

- (ريو يتشولني) مسيو ... من كنت تتوقع؟!

حدق فيه (نادر) لحظة اخرى، ثم قلل في حدة:

- ولكنك تفهم العربية.

هز (ريو) كتفيه، قللاً:

بضع كلمات فحسب.

- إذن فقد نجوت!..

التسعت عينها عن آخرهما. وابتعت الهاتف المحمول عن اننها، تحديق
في شاشته؛ للتيقن من انها تستقبل ذلك الصوت عبر هاتف (نبا)، ثم
أنهت الاتصال في عنف، نون ان تنبه الى ان سيجارتها المشتعلة قد
سقطت على فراشها، وبدأت نيرانها تمتد اليه.

ولدقيقة تقريباً، راحت تحديق في الهاتف، قبل ان تغمغم ذاهلة:

- مستحيل!..

كانت النيران قد اشتعلت في جزء من الفراش بالفعل، فتطلعت اليها في
بلادة عجيبة، قبل ان يتعقد حجبها الجميلان في شدة، وهي تغمغم:

- إذن فقد عاد الصراع.

ثم تحاول إطفاء النيران، التي راحت تمتد الى الفراش كله، وإنما اغلقت
هاتفها تمام، والفته نحو ركن الحجرة، ثم راحت ترتدى ثيابها في هدوء.
لا يتناسب مع النيران، التي تزداد تلجج بالقرب منها، و دشت مسدساً
ذهيباً صغيراً، في حزامها، قبل ان تضغط زر جهاز الاتصال الداخلي، معطق
على الجدار، وتقول في صرامة:

- (فريتندو)، فليستد الجميع ... سنغادر هذا المكان فوراً.

صمتت لحظة، تستمع إلى (فريتندو) هذا، ثم قالت بكل صرامة:

- سنعلمون وجهتنا، بعد ان نبتعد عن هنا.

أنهت الاتصال الداخلي، وألقت نظرة أخيرة على الفراش. الذي تلتهمه

اندفع (قدري) يقول في حدة:

- قلت: إنك لا تجيدها.

عاد (ريو) بهن كنفية، قتلًا:

- لمست أجيدها بالفعل .

ثم اكتسبت لهجته بالاحترام والتوقير، وهو يضيف:

- ولكن (ئو جراند) يجيدها.

تبادل (نادر) و(قدري) نظرة متوترة، قبل أن يضمخ الأخير في صرامة:

- (ئو جراند) مرة أخرى.

نقل (قدري) بصره بين (نادر) و(ريو)، ثم اتجه نحو سيارة هذا الأخير،

وقال بالعربية، في لهجة بلنسية:

- (ادهم) ... اجبني لو أنك تسمعي ... كل ما أريده يا صديقي هو

الاطمئنان على أنك و(منى) بخير .. أرجوك يا (ادهم) ... اجبني يا

صديقي العزيز.

ضمخ (ريو) :

لو أنك تتحدث إلى (ئو جراند)، فهو لن يستطيع إيجبتك .

استدار إليه (قدري) في تسؤل متوتر، فضاف:

لا يوجد جهاز اتصال بالسيارة ... جهاز استماع محسب.

ضمخ (قدري):

- لو أنه يسمعي، فسيجد سبيلًا لإجبتني.

مط (ريو) شفتيه، وهن كنفية، دون أن يجيب، في حين قال (نادر) في

صرامة:

- اظن أن رحلتك مع (ريو) قد انتهت هنا يا سيد (قدري).

التفت إليه (قدري) بنظرة خالوية، فضاف بالعربية، بنفس الصرامة:

- (القاهرة) تعبرك درة نادرة من درر هيا سيد (قدري)، ومع ما يملأ

نفسى من شك الآن، لن أسمح لك بالاستمرار بصحبة هذا السائق.

بدت علامات اليمس، على وجه (قدري)، وهو يضمخ:

- لأقول مرة، اتفق معك في الرأي.

ثم تقطع إلى سيارة (ريو)، التي امتلات بنقوب الرصاصات، مضيفًا:

- ولكن هل ستتركه هنا وحده؟!

التفت (نادر) إلى (ريو)، قتلًا في صرامة، وباللغة الفرنسية:

اظن أن ملك التاكسى، يمكنه مواجهة موقف كهذا.

شد (ريو) قامته، وضرب صدره في اعتزاز، وهو يقول:

- بالتأكيد.

أشار (نادر) إلى جنتى رجلى (تيا)، اللذين قتلتهما رصاصات رجاله،

وهو يقول:

وماذا عن هذا؟!

مط (ريو) شفتيه في لا ميالة، وهو يقول:

- لن يعجز (ريو) عن التعامل مع الأمر.

رمقه (نادر) بنظرة شك طويلة، وكأنما يحاول ان يسبر اغواره، قبل ان ينفث إلى (قدرى)، قتلا فى حزم:

- هيا يا سيد (قدرى) ... نريد ان نرسل بوقية إلى (القاهرة)، بكل التفاصيل التى واجهتها، منذ وصولك إلى هنا.

غمغم (قدرى) فى مرارة:
- بالتأكيد .

ثم مديده إلى (ريو) بصافحه قتلًا:

- مع كل ما حدث، وكل ما حاولت خداعى به طوال الوقت، الا اننى اشكر لك دفاعك المستميت على.

بدت الحيرة لحظة فى عيني (ريو)، قبل ان يتسهم، قتلا، وهو يصافحه فى حرارة:

- اه ... انتم الشرقيون تشعرون بالامتان، ثمثل هذه الاشياء.

تمتم (قدرى):

سالتكيد .

ثم نظر إلى عيني (ريو) مباشرة، وهو يقول:

- امر اخير ... عندما تتلقى بـ (نو جراند)، او يتم اى اتصال مباشر، بينك وبينه، أخبره اننى ارجع فى مقبليته.

ابتسم (ريو)، وهو يقول:

- ربما كان يسمعك الآن .

الذى (قدرى) نظرة على السيارة، وهو يغمغم فى اسى:
- كم اتعشم هذا.

نوح بكفه للسائق، وهو يبتعد مع (نادر)، فى اتجاه سيارة هذا الاخير، وبإدله (ريو) التحية، وهو يغمغم:

- نعله بالفعل يسمعك الآن يا مسيو.

سمع صوت خفيف الاشجار من خلفه، فالتفت إليه بحركة حادة، وما ان فعل، حتى نالت عينا، وحملت شفتاه ابتسامة كبيرة، وقال بكل التوقير

والاحترام :

- (نو جراند).

قالتها، وقبها يخفق فى قوة...

وفى مهبة ...

بلا حدود...

* * *

" كم هى رائعة، تلك التكنولوجيا الحديثة..."

نطقها لقب مدير المخابرات العامة المصرية، مع ابتسامة كبيرة، وهو يصع متفأ متوسط الحجم، امام المدير، الذى سألته فى اهتمام:

- اهو التفريغ الكامل؟!

أوما التلب يرأسه إيجليا. وقال :

- لقد سجنه السيد (قدرى) بنفسه، عبر الجهاز الملحق بسيارة السيد (نادر). وارسله لت هذا الأخير مباشرة، من خلال الجهاز المتصل بشبكة الإنترنت، عبر الأقمار الصناعية.

بدأ المدير يطالع تفريغ حديث (قدرى) بكل تفاصيله، وهو يسأل:

- هل ذكر كل التفاصيل؟!

اجابه النقيب في حسم:

- السيد (قدرى) محترف يا سيادة الوزير.

غمغم المدير، وهو يواصل مطالعة تفريغ الحديث:

- هذا صحيح.

واصل للمطالعة بعض الوقت، ثم تساعل في اهتمام:

اين (نادر) و(قدرى) الآن؟!

اجابه نقيب على الفور:

- في الطريق، بين (مارسيليا) و(باريس) يا سيادة الوزير.

اوم الوزير براسه إيجاباً، وهو يواصل مطالعة الملف، في اهتمام شديد،

حتى انتهى منه في سرعة، فغلق عينيه، وشبك اصبع كفيه امام وجهه.

وبدت عليه علامات التفكير العميق، قبل ان يغمغم:

- إنه بالفعل لاعب شطرنج بارع .

تطلع إليه تاليه، في تساؤل صامت، ففتح المدير عينيه، واعتدل في

مجلسه، وهو يقول في اهتمام:

- لو انك في موضع (ن-1) ... تختفى عن الانظار، وتعلم ان اعدائك لن يتوقفوا عن البحث عنك، الا في حالتين فحسب، إما ان يهشروا عليك، او يتبقوا من مصرعك، فلماذا تدفع صديق عمرك الى التورط في البحث عنك، معرضاً حياته للخطر.

صمت النقيب لحظت مفكراً، ثم قال في حذر:

- لو اننى في موضع (ن-1)، فلن اعرض حياة صديق عمري للخطر،

مهما كلفت الأساليب.

ابتسم المدير، وأشار إليه بسبّيته، قتلًا:

لنت بالفعل لمت في موضع (ن-1).

ثم عاد يتراجع في مقعده، مضيفاً:

- فسنوب (ن-1) لا يمكن التلبؤ به، وهذا سر قوته، في مواجهة

خصومه واعدائه... فعندما تدرك انه يهاجم نوم من اليمين، وتستعد

لمواجهته، يفاجئك بالهجوم من اعلى، لا من اليمين أو اليسار ... يوماً

من حيث لا تتوقع.

تساعل نقيب في حذر:

- اتعنى انه قد يعرض حياة السيد (قدرى) للخطر؟!

أشار المدير بسبّيته، مجيباً:

- ظاهرياً فحسب ... فهو يعلم ان اعداءه سيتبعون السيد (قدرى) طوال

الوقت، في حين سيتبع السيد (قدرى) ما يفوقه هو إليه ... أى انه عملياً.

اتسعت ابتسامة المدير، وهو يقول:

- المثير سواه؟!

انعقد حلقا التائب في شدة، وهو يتطلع إليه في تسول متوتر، ولكن ابتسامة المدير اتسعت أكثر، وازدانت غموضاً ...
الف مرة.

انعقد حجب مفتش الشرطة الفرنسية (فيليب سنيوريه) في شدة، وهو يراجع كومة التقارير، التي الهالت في يوم واحد، من اماكن شتى، عن وقلع إطلاق نار، وإصابات وحوادث، وتوقف طويلا عند ذلك البلاغ، الذي قدمته مجموعة من الفجر، حول اقتحام معسكرها، من قبل مجهولين، وتبادل إطلاق النار فيه
ويكل توتره، سأل مساعده (الدرية):

- اهم هذا؟!

اجليه مساعده في هدوء:

- في انتظارك يا سيادة المفتش.

نهض (سنيوريه) ينقل إلى حجرة الاستجواب، حيث جلس زعيم مجموعة عجر (مارسينيا)، وإثنان من مرافقيه، واتخذ (سنيوريه) مقعداً مواجهاً لثلاثتهم، وهو ينقل بصره في وجوههم. قبل ان يسألهم:

سيفقد اعدائه إلى حيث يريد، بحيث يتصفرون طوال الوقت انهم الصياد، وانه الفريسة، وان السيد (قدرى) هو الطعم للإيقاع به، ثم وفي الوقت المناسب ...

فرقع سبلته وإبهامه، واتسعت ابتسامته، وهو يميل إلى الامام مرة اخرى، مكمل في حملن:
- سيفلجهم بان السيد (قدرى) كان طعم للإيقاع بهم، وانه وطوال الوقت، كان هو الصياد، وهم الفريسة.

اتسعت عينا التائب، وتلاحقت الفسه المبهورة، وهو يغمغم:

- امن الممكن ان ...

قطعه المدير في حزم:

- مع (ن-1)، كل شيء ممكن .

ران عليهما الصمت لحظت، ثم هز التائب رأسه في قوة، وهو يقول:

- ولكنتي قرات كل حرف ذكره السيد (قدرى)، ولم أجد ما يشير إلى وجود سيادة العميد، في اية جملة.

هز المدير رأسه، وهو يقول:

- على العكس ... إنه موجود طوال الوقت.

قال التائب في انفعال:

- اين؟! ... لا يوجد في الاحداث سوى ذلك التسلق الفرنسي. ذى الاصل الثلاثيني، وفي آخر لقاء معه، ثبت أنه ليس سيادة العميد.

- ماذا حدث في مخيمكم بالضبط؟!

اجابه زعيم مجموعة الفجر، في غضب واضح:

- اتى رجلان يسألان عن (جوزى) وبينما كنا نتحدث معهما، انت سيرة، بها امرأة حسناء، نحمل ملامح الشرق الأقصى، ودار تبادل ثيران بين الفريقيين.

سأله (سنيوريه) في اهتمام:

- ثم ماذا؟!

ارتفع حجباً زعيم مجموعة الفجر في استنكار، وهو يقول:

- الا يكفي هذا؟!

ثم تولاه غضب شديد، وهو يضيف:

- اكان من الضروري ان يقتل احدا، حتى يصير للامر اهميته

بدا الرجلان المصلحيان له في الحديث بغضب، ذاكرين كيف ان الفجر

يعقون من الاضطهاد طينة عمرهم، وكيف ان (هتلر) قد حاول القضاء

عليهم، خلال الحرب العالمية الثانية، حتى هتف المفتش (سنيوريه) في

توتر:

- كفى ... لقد استوعبت الامر كله.

هدأت أصواتهم قليلاً، فعاد يميل نحوهم، متسللاً:

- وتلك الحساء، ذات الملامح الاسيوية، هل يمكنكم تعريفها فور رويتها؟!

اجابه زعيم مجموعة الفجر في حزم:

ومن النظرة الأولى؟!

رمقه (سنيوريه) بنظرة شاك، وهو يقول:

ولكنهم يقولون: ان كل الاسيويين يتشابهون.

بدا زعيم مجموعة الفجر شديد الصرامة، وهو يقول:

- ليمس في عيون الفجر.

التقط (سنيوريه) نفساً عميقاً، قبل ان يفرد راحتيه على سطح مقدة

الاستجواب، قتلًا:

- فليكن ... سنعرض عليكم مجموعة من الصور، لكل المسجنين لدينا،

من الاسيويات الحسلوات، ثم ...

قلطعه دخول مساعده (اذريه)، في تلك اللحظة، وهو يتنحج، قتلًا:

- معذرة يا سيادة المفتش ... هل لى في كلمة معك؟!

وجدها (سنيوريه) فرصة: للاستراحة من هذا التوتر مرحب، فقال وهو

يتنهض في سرعة:

بالتأكيد .

غادر حجرة الاستجواب. إلى الحجرة الملحقة بها. وهو يسأله:

ماذا هناك؟!

تولاه (اذريه) خطاباً قصيراً، وهو يقول:

بعضهم احضر هذا لك شخصياً.

التقط (سنيوريه) ذلك الخطاب القصير، وطالع كلماته في سرعة. ثم ارتفع

حاجباه بمنتهى الدهشة...

فالكلمات انقلبت، التي حواه ذلك الخطب، كانت تحمل له مفاجأة كبيرة...

وعنيفة...

للغاية...

"إنهما بقربران من (باريس)..."

قال (تسو) العبارة، وهو يقود سيارة قوية. تتبع سيارة (نادر)، منذ غادرت (مارسيليا)، فجذب (فرانسوا)، الجائس إلى جواره مشط مدسه الآلى، وهو يقول فى حزم:

- بعد ثلاثة كيلومترات، سيكون (هانز) فى انتظارهم، بالسيارة الكبيرة.

مط (تسو) شقيقه، وغمغم فى عدم رضا:

استطاع إزاحتهم عن الطريق بهذه السيارة.

اجلبه (فرانسوا) فى صرامة:

- اعلم ان سيارتنا قوية بما يكفى، ولكن الزعيمة لا تريد ترك فرصة

واحدة للمصادفت.

وصمت لحظة، ثم أضاف، فى صرامة أكبر:

- ثم ان سيارة (هانز) تحمل خزان وقود. يكفى لتفجير نصف المنطقة.

عندما ترتطم بسيارتهم.

مط (تسو) شقيقه أكثر، وهو يقول فى غضب:

- ماذا فعل نحن إذن؟!

اجلبه بكل الصرامة:

نضمن عدم خروجهم عن خط السير، حتى يصلوا إلى حيث (هانز).

هز (تسو) كتفيه، وقال فى حلق:

- أكره يوماً الجلوس فى مقاعد الاحتياط

زمر (فرانسوا)، قتلًا:

- إنها أوامر الزعيمة...

فى نفس اللحظة التى نطقها، كان (قدري) يسأل (نادر) فى نوت:

- هل وصلت المعلومات كلها إلى (القاهرة)؟!

أوما (نادر) يراسه إجلب، وهو يقول:

- فى نفس لحظة التهتك من تسجيلها يا سيد (قدري) ... ثورة الاتصالات

أفادت عملاً كثيراً.

غمغم (قدري) فى مرارة:

- ولكنك، تم مساعدكم فى العثور على (ادهم) و(منى).

حمل صوت (نادر) ضيقه، وهو يقول:

- إنها مسألة وقت يا سيد (قدري) ... صدقتى ... مسأله وقت.

مط (قدري) شقيقه. واكتست ملامحه بالأسى والحزن، وهو ينتم:

- أتعلم هذا.

كان (نادر) يقود سيارته في صمت، عندما تألفت عينا (هاتز)، وهو يقول:
- إنهما يقتربان.

النقط (فرانسوا) الكلمة. عبر جهاز الاتصال في السيارة، فاعتدل في
الفعال، قللاً:

- لا تخطئ التوقيت يا هذا... الزعيمة لا تغفر الخطأ قط

ادار (هاتز) محرك السيارة الكبيرة، وهو يقول في حزم:

- اطمئن... السيارة ستفجر في موعدها.

اشار (فرانسوا) إلى (تسو)، قللاً:

- اخفض من سرعة السيارة ب رجل... لا نريد ان نكون قريبين منهم.

عندما يحدث الانفجار.

غمغم (تسو)، وهو يضبط فرامل سيارته:

- بالتأكيد.

ابتعدت سيارة (نادر) عنهما، في نفس اللحظة التي تحرك فيها (هاتز)

بسيارته، واندفع بهر به الطريق، منتقلاً نحو سيارة (نادر) مباشرة...

ومع الفارق الحجمي بين السيارتين، لم يكن هناك مقر من الاصطدام...

والانفجار...

أو مقر.

11 - وجهها لوجه..

" (ادم صبري) ثم يعد في (اسرائيل).. "

نطقها قلب مدير المخابرات المصرية في الفعال، وهو يضع التقرير امام

المدير، الذي سألته في اهتمام شديد :

- وكيف؟...

اجابه قلبه، وهو يشير إلى الأوراق:

- منذ شهر واحد تقريباً، زارت مدرسته امرأة مستلة، قدمت نفسها

باعتبارها (مليتا سياسكي)، شقيقة والده المفترض (جاك سياسكي)،

ومعها الأوراق التي تثبت هذا، بالإضافة إلى تفويض رسمي، من شقيقها

(جاك)، بصطحب (ادم)، بحجة نقله إلى مدرسة عسكرية في الولايات

المتحدة الامريكية، ولقد تم تسليمها (ادم) بالفعل، ولم يشك احد في الامر،

حتى هذه اللحظة.

سألته المدير في اهتمام:

- وهل جمعتم أية معلومات، بخصوص تلك السيدة؟!

لوما نقيه يراسه (بجلاً)، وهو يقول:

- المعلومات التي جمعها رجالنا في (تل اييب)، والتي راجعها مكتبنا في

(نيويورك)، أكدت عدم وجود أية سيدة تحمل هذا الاسم، ولا يوجد حتى

(جاءك سياسكى) نفسه، والاهم ان بيتلت الجوازات فى (اسرائيل)، ثم نشر الى وصول سيده تحمل هذا الاسم. ولكنها اشارت الى سفر سيده اسرائيلية، تدعى (بولا هاير)، مع طفل صغير، سجلت فى الأوراق الرسمية انه (ايل هاير)، ابن شقيقها (جوزيف هاير)، واستقلت معه الطائرة المتجهة الى (رومانيا) ..

انعقد حلجبا المدير، وهو يقول فى صرامة:

- لم تجب سؤالى بط ... أليكم اية معلومات، بشأن تلك السيدة المسنة، ايا كنت هويتها؟!

او ما نقيه براسه إيجلأ مرة اخرى، قبل ان يقول:

- من حسن حظك ان المدرسة، التى تم الحاق (آدم) بها، فى (ببر سبع)، مزودة بكميرات مراقبة من طراز جيد، ولقد نجح احد رجالنا، فى الحصول على الاسطوانة، التى سجلت خروج تلك السيدة المسنة من المدرسة، بصحبة (ادم).

وضع امام المدير صورة واضحة، لتلك التى ادعت انها عمه (ادم). وهى تسير معه، من المدرسة الى سيارة فخرة فى النظاره. فتطلع اليها المدير طويلا، قبل ان يقول:

- وعادا عن برنامج تعرف الملامح؟!

لجلية نقيه فى سرعة:

- لقد استخدمه القسم الفنى بالطبع يا سيادة الوزير، ولكنه لم يسفر عن

كشف الهوية الاساسية لتلك السيدة، مما دفعهم لاستخدام وسيلة بحث اضافية، تستخدم لكشف حالات التكرار، وجاءت النتائج اقوى مما كانوا يتصورون.

تطلع المدير الى وجهه مباشرة، وهو يسأله فى الفعل:

- هل كشفت ما تخفيه تحت قناعها؟!

او ما نقيه براسه إيجلأ مرة اخرى، وهو يقول:

نعم يا سيادة الوزير، ولقد كنت مفاجدة حقيقية ... مفاجدة فاقت كل توقعاتى .

قائلها، وهو يضع الصورة النهائية امام الوزير، الذى انعقد حجبها فى شدة، وهو يتطلع الى صاحبة الملامح الاصلية. التى كشف البرنامج هويتها...

فلقد كان نقيه على حق ...

المفجدة فاقت بالفعل كل التوقعات ...

اكثر مما كان يتصور ...

الف مرة...

* * *

انعقد حجبها المقتش (سيوريه) فى شدة، وهو يتطلع الى ذلك الامر، الذى فاق كل توقعاته، عندما اتبع ذلك الخطاب، الذى وصله من مجهول ...

قامامه مباشرة، كان هناك خمسة نحيط بهم القيود ...

ثلاثة على قيد الحياة. والثان نقياً مصرعهما بكومة من الرصاصات ...

وبكل ثورته، غمغم (سنوريه):

- اية منبحة بشعة جرت هذا.

هز مساعده (الذريه) كفيه، وهو يقصم:

- الخطاب يقول: ان تلك الاسيوية الحساء مسوولة عن كل هذا.

هممت (نيا) بكلمت عصبية غلظية، منعها كمامة فمها من التطق بها،

فالتفت اليها المفتش (سنوريه)، وتطلع الى المسلس الملقى الى

جوارها، وهو يقصم:

- اسويوة حساء، وجثن ... قل لي ب (الذريه)، هل تعتقد انها ..

قطعة (الذريه) في حملس:

- الفجر يستطيعون نعرفها حتم.

قومت (نيا) قيودها، في عصبية اكثر، وراحت همماتها ترتفع، فمط

(سنوريه) شفنيه، وهو يقصم:

- بالتاكيد.

سأله (الذريه)، وهو يشير إليها:

- هل تصيح بحل قيودها، يا سيادة المفتش؟!

صمت (سنوريه) لحظات، ثم قال في صرامة:

- الخطاب الذي وصتني، يوكد أنها عميلة مخبرات سابقة، تنتمى بعد

اعزائها، الى منظمة ارهابية دولية، تسهي للتدمير عددا من الاهداف

الحسوية في (باريس).

سأله (الذريه) مرة اخرى:

- هل تصيح بحل قيودها؟!

مط المفتش (سنوريه) شفنيه بضع لحظات، وهو يفكر في عمق، ثم

اشار اليه، قطلا:

- يمكنك ان تحل كمامتها، اما قيودها، فالأفضل ان تحتفظ بها، حتى ندرك

مدى خطورتها.

التفت (الذريه) يحل كمامة (نيا)، التي لم تكذ تتخلص منها. حتى

صرخت، وهي تقوم قيودها بكل عصبيتها:

- إيه كمين ... لقد اوقع بي؛ ليلنقم مما فعلته يزوجته.

تبادل (الذريه) نظرة صامتة مع (سنوريه)، الذي عاد يطم شفنيه، وهو

يقول في صرامة:

- كل ما لديك يمكنك قوله خلال التحقيقات يا سيدتي.

صرخت بكل عصبيتها:

- قلت لك: إيه كمين... إنه يحاول توريطني في جريمتي قتل؛ لادفع ثمن ما

فعلته بها.

سأله بنفس الصرامة:

- من تعين يا سيدتي؟!

صرخت:

- (ادهم) ... (ادهم صبرى)...

بدأت الدهشة على (سنوريه) و(الدرية) معاً، سألها الأخير فى حيرة:

- من هذا يا سىنى؟!

كانت تحاول التخلص من قيودها فى استمالة، وهى تقول:

- إنه رجل مخابرات مصرى... من العار الاعرفوه... سئوا مخابراتكم

عنه، وستجدون انها تعرف عنه الكثير حتماً.

تبادل الرجلان نظرة حائرة اخرى، ثم استعاد (سنوريه) صرامته، وهو

يقول:

- هل تعين اننا لو فحصل هذا المسلسل - الملقى الى جوارك، فكن نجد

عليه بصماتك.

توقفت عن مقاومتها دفعة واحدة، وانسعت عيها، وهى تقول:

- ربما جعلنى أمسك به، عندما افقنى الوعى.

ثم استعادت عصبيتها وصرختها، مع اضافتها:

بل من المؤكد انه قد فعل هذا.

قال (سنوريه) فى سخرية:

- تقصدين (صبرى) هذا.

صرخت فى ملأ شديداً:

- ذلك المؤكد... إنه ينتقم منى... ألم تفهما بعد؟!... إنه يدفعنى دفعا إلى

المقصنة، انتقاماً لما فعلته بزوجه.

اوم (سنوريه) براسه، ولامحه كلها تحمل علامات عدم الاقتناع، ثم

النظت ذلك المسلسل فى حرص، وهو يقول:

- اذا فذلك المجهول اطلق النار على رجلين من مسدسك، ثم افقدك

الوعى، ووضع بصماتك عليه.

ثم ايتسم فى سخرية، وهو يضيف:

- اليس من الافضل ان تحاولي بيع هذه القصة للسينما يا سىنى؟!

صرخت فى انفعال جارفاً:

- اتعما غيبان... إنه يخدع الجميع.

بدأ (سنوريه) شديد الصرامة، وهو يقول:

- فليكن... يمكنك اتهام الجميع فى التحقيقات، ولكن سينم عرضك أولاً

على مجموعة من الفجر، تتهمك باقتحام مخيمهم، وإطلاق النار فيه، بنية

القتل، وسجري اتصالى بالمخابرات بالفعل، لاسأله عما يعتمونه بشكك،

ويشان ذلك الـ (صبرى)، الذى لم اسمع به من قبل.

ثم اشار إلى رجاله، الذين بدأوا فى حملها عتوة إلى سيارة الشرطة، وهى

تقاوم فى عتف، وتصرخ:

- سيخدعكم جميعاً... إنه ينتحل شخصيه سائق فرنسى. من أصل لايبسى

... ابحث عن (ريو بيشونى)... إنه ينتحل شخصية (ريو بيشونى).

جاء دور (الدرية) - ليتسم فى سخرية، وهو يقول:

دراسة الوقود أكثر، إلا أنه، ومع قاربي القوة الكبير بين السيارتين، لم يكن باستطاعته إبدأ الإفلات من الاصطدام....

ولقد استعد (هاتز) لنقفز من السيارة، وهي يهتف:
- الوداع أيها المصريون.

ولكن فجأة، ظهرت تلك السيارة..

سيارة قوية، من السيارات رباعية الدفع، الشهيرة بمثلثة هيكلها، وقوة محركها...

ظهرت فجأة، وهي تنطلق بسرعة خرافية، نحو سيارة (هاتز)، الذي فوجئ بها، فترجع داخل سيارته مرة أخرى، وهو يهتف:

ماذا يحر...

وقبل أن يتم هاتفه، حدث الاصطدام...

تلك السيارة المنيئة، رباعية الدفع، والتي انتجت في البداية كسيارة

عسكرية مدزعة، قبل أن يتم طرح طرازاتها للمدنيين، اصطدمت بمقدمة سيارة (هاتز) الكبيرة، على نحو بالغ العنف، وأزاحتها أمامها ثلاثة أمتار كاملة؛ لتبدها عن سيارة (نادر)، التي اختل توازنها بالقفل، فهوت في حقل قريب...

ومع عصف الارتطم، سقط (هاتز) داخل السيارة، وهو يصرخ:

- لا... القنبلة.

ولكن السيارة القوية ظلت تدفعه أمامها، في قوة كبيرة، حتى مالت

- من سوء حظك اننى اعرف (ريو) شخصياً يا سيديتى ... إنه منك

التاكسي فى (باريس)، والكل يعرفه منذ سنوات.

راحت تصرخ، وهم يضعونها فى سيارة الشرطة:

- إنه هو ... ابحثوا عن (ريو) ... إنه هو.

ولم يبالي احد بصرختها...

مطلقاً...

* * *

الدفع (هاتز) بسيارته الكبيرة. المحملة بالوقود، نحو سيارة (نادر)

مباشرة، قطعاً الطريق كله، من الجانب الآخر، فصرخ (قدري) فى

ارتياح:

- لحترس يا (نادر)!

ولم يكن (نادر) فى انتظار التحذير فى الواقع. فف ان لمح السيارة بطرف

عينه، حتى ضغط دواسة الوقود بكل قوته. وانحرف بالسيارة الى اقصى

يمين الطريق، وهو يريد من سرعتها الى حده الاقصى؛ محاولاً تفادى

سيارة (هاتز)...

ومن بعد، صرخ (فرانسوا)، وهو يتوح بمسدسه:

- هيا يا (هاتز) ... اسحقهم سحقاً.

ارتطم جانب سيارة (نادر) بجناز أسمى على الطريق. ولكنه ضغط

- لقد سقطت سيارتهما... لابد وان نقضى عليهما الآن يا رجل، وإلا قضت علينا الزعيمة بلا رحمة.

ضغط (تسو) لنؤاسة سيارته، مع ذكر النقدم الزعيمة، ولكنه لم يكذب ينطلق بها، حتى فوجئ بالسيارة رباعية الدفع تندفع بقوة نحوه، في سرعة مخيفة، فصرخ وهو يحاول تفادي الاصطدام بها:
- يا للشيطان!

انحرف بسيارته في حركة سريعة، ولكن قللت السيارة رباعية الدفع، والذي يفتنى وجهه خلف زجاجها العكس، انحرف بسيارته ايضا، في الاتجاه نفسه. وعلى نحو يشف عن تميزه بسرعة استجابة غير طبيعية، وواصل اندفاعه نحو السيارة، فصرخ (فرانسوا)، وهو يحاول إطلاق النار نحو السيارة رباعية الدفع:
- احترس ايها الاحمق.

ومع نهاية صرخته اصطدمت بهما السيارة رباعية الدفع بمنتهى القوة، ودفعتهما إلى جانب الطريق في عتف؛ لتتقي بهما في ذلك الحقل الجانبي... ومع سقوط سيارتهما، فقد (تسو) وعيه على الفور. في حين تشبث (فرانسوا) بمسدسه، وهو يصرخ، في ألم وغضب:
- إن نكلت من يدي أيها...

قبل ان يتم عبارته، انفجرت باب السيارة المجاور له. وشعر بقيصة كالقولاذ، انتزعته من مقعده، على الرغم من حزام الامان الذي يربطه به،

سيارته، وانقلب على جانبها، وراحت ترحف لعدة امتار اخرى على الطريق، والوقود المخزن فيها يسيل منه. ويصنع حولها بركة كبيرة، احاطت بها من كل جانب، عندما توقفت اخيراً... وفي نفس اللحظة، كان راس (تادر) قد اصطدم بقائمة السيارة المجاورة له في عتف، مع سقوط سيارته خارج الطريق، وانقلب بها رأساً على عقب، في حين راح جسد (قدري) يرتطم بكل شئ، مع غياب حزام الامان، الذي لم ينجح في الالتفاف حول جسده الضخم...

ومن بعيد، صرخ (فرانسوا):

- لا... إن يحدث هذا.

ثم التفت إلى (تسو)، مردف:

- الزعيمة إن تغفر لنا فشل العملية أبداً... انطلق يا رجل... انطلق.
هتف (تسو):

- ولكنك قلت : إن .

قبل ان يتم عبارته. دوى الانفجار...

انفجرت القنبلة. في سيارة (هاتز)، تمزق جسد هذا الأخير، وتشعل التيران في بركة الوقود المحيطة بالسيارة. وتمتد إلى حيث انقلب... وفي سرعه، تشف عن قوة وبراعه فقد السيارة رباعية الدفع، تراجع بسيارته، ودار بها حول محورها. ثم اندفع بها خارج نطاق التيران... وبكل انفعاله، صرخ (فرانسوا) في (تسو):

"المخابرات الفرنسية ارسلت ردها بالفعل يا مدموازيل (تيا) ..."

قالتها المفتش (سنيوريه) في هدوء. وهو يجلس امام (تيا)، في حجرة التحقيقات، بعد ان تم ربط قدميهامعصميه باغلال معنوية، الى المقعد الذي تجلس عليه، فرمقه هي بنظرة وحشية، جعلته يكمل، دون النظر جوابها:

- لقد تعرفوك على الفور، وسجلاتهم اكدت ما جاء في ذلك الخطاب المجهول ... لقد كنت عميلة للمخابرات الصينية في السابق، ثم اعتزلت العمل الرسمي، وعملت لحساب منظمة ارهابية دولية، سعت يوم الى ذلك الحزم العايب، بالسيطرة على العالم. كما لو انك في احد افلام

(جيمس بوند)

زمجرت، قبل ان نقول في وحشية:

- وهل أجليوا بشأن (ادهم صبرى)؟!

هن كفيه، قتلنا:

- الأمر الذي ادهشني انهم يعرفونه جيدا بالفعل، ولكنهم اكدوا بما لا يدع

مجالا للشك. انه من المستحيل ان يكون من فعل بك هذا.

اعتقد حليجها الجميلان في شدة وشراسة، فاضاف في حرم:

- لانه، ووفقا لسجلاتهم الرسمية، لم يعد على قيد الحياة.

زمجرت مرة اخرى، وهي تقول في حدة:

- خطأ .. كل سجلاتهم خطأ ... إنه على قيد الحياة، وهو من فعل كل هذا

وهو على فكه لكمة كالثقبية، مع صوت شديد القوة والصرامة، يقول:

- لم يكن ينبغي حتى ان تحاول .

غامت عين (فرانسوا)، مع علف الكلمة، ولم يعد باستطاعته تمييز ملامح

خصمه، الا انه حاول في ياس رفع مسدسه، ولكن الكلمة التالية اتت

لتنقله الى عالم اللاوعي، فسقط الى جوار السيارة كالحجر.

في نفس الوقت، شعر (قدري) بقله يفقد الوعي تدريجياً، وعجز عن

الخروج من السيارة، مع حجمه الضخم، في حين سقط راس (نادر) على

صدره، وراح الوقود المشتعل يسيل الى الحقل، ويقترب منهم رويدا

رويدا....

وقبل ان يفقد وعيه تمام، خيل لـ (قدري) انه يرى ظلا مألوفاً، يشب الى

حيث السيارة، ثم يفتح بيها في قوة، ويبدأ في جنبه خارجها، فتمتم وهو

يفقد وعيه بالفعل:

- (رويد).

وبدا انه يسمع صوتاً من بعيد، يقول:

- إنه أنا يا (قدري).

ثم غلب عن الوعي...

تماماً...

* * *

... لقد تحدث إليّ، ولا يمكنني ان اخطئ صوته ابداً.

تراجع المفتش (سنيوريه) في مقعده، وهو يتفكر ملامحها، قائلًا:

- ولكنك قلت ان (ريو بتشولى) هو الذى قتل بك هذا.

صرخت في حدة:

- وقتلت ايضا: ان (ادهم) يتحل شخصية (ريو بتشولى) هذا.

تطلع اليه (سنيوريه) لحظت في صمت، ثم اشار بيده، فلفتح باب حجرة

الاستجواب، ودلف عبره (ريو)، وهو يضمخ:

- لا احد يمكنه التحال شخصية ملك التاكسى يا سيئنى.

اتسعت عين (نيا) فور رويته، وصرخت، وهى تحاول انتزاع قيودها:

- إنه هو... افحصوا ملامحه، وسنرون وجهه الحقيقى. تحت قدعه

الزائف هذا.

هزّ (ريو) كتفيه، وهو يلتفت الى المفتش (سنيوريه) بابتسامة حارة،

فاشار له هذا الاخير بيده ليغادر الحجرة، وهو يواجهها، قائلًا فى

صرامة:

- الواقع اننا قد فعلت يا سيده (نيا)، وتكذب بعد لا يدع مجالا للشك، وعبر

مجموعة من الاطباء والخبراء القيين، إنه (ريو) الحقيقى، الذى تتوافق

بصمته مع تلك المسجته فى سجلاتنا، وفى أوراق حصه هيئته،

وترخيص سيارته.

بدت مبهوته لحظة. ثم استعادت عصبيتها، وهى تقول فى حدة:

- إذن فهو مشترك مع (ادهم) فى هذا.

زفر (سنيوريه). وكأما لم يعد يحتمل مكابرتها، قبل ان يقول فى حزم:

- سيده (نيا) ... محاولتك للتظاهر بالجنون، لن تفيدك باى شئ، فى هذه

القضية ... لقد تعرفك الفجر، باعتبارك من قاد عملية تبادل إطلاق النيران

فى معسكرهم، وانفقوا جميعاً على ان رجالك كانوا يفكرون بفتح اجنبى،

لولا ان تدخل (ريو) لإيقاظه، فى اللحظة الاخيرة، وربما لهذا غضبت من

رجليك، وقتلتيهما. و...

صرخت بكل عنفها:

- (ادهم) يحاول تفتيق هذا الاتهام لى ... الاتفهمون ... لقد قتلت زوجته

وهو ينتقم.

مل المفتش (سنيوريه) نحوها، قائلًا:

- بعد ان لقي مصرعه؟!

صرخت:

- لم يلق مصرعه ... إنه حى... الاتفهمون ... إنه حى، ويدير كل هذه

الكعبة... إنه حى.

صاح بها المفتش (سنيوريه) فى حدة:

- قلت لك: ان هذا لن يفيدك.

توقفت لاهثة فى انفعال، وحذقت فيه. وهو يواصل فى صرامة قاسية:

- المسئس كان يحمل بصماتك بالفعل، وبعض الرصاصات، التى تم

- انهم جريماً قتل با سيّدة (نيا)، وثمة تعريض امن البلاد للخطر.
ولدينا كل الالبيات التي تفيدك، ونحن هنا لا نتسمح مع جرائم الإرهاب
والقتل، ولدي عقوبة واحدة بشأنها، كافية لأن تردع من هم على
شاكتك، ممن يضمرون لوطناً شراً.
وازداد ميله نحوها، وهو يضيف بكل القسوة:
- الإعدام

امتنع وجهها في شدة، وراح عقلها يدمى في كبتها.

لقد احكم (ادهم) لعيته بحق...

استدرجها إلى حيث يريد...

والقى بها حيث يشاء...

ادار اللعة في مهارة يحسد عليها؛ حتى تدفع لمن ما فعلته بزوجته...

وهي، ومهم قائله او فعلوه، لا تشك لحظة في انه من واجهته هناك،

وسط الأشجار...

ولكن كيف فعل كل هذا؟!...

كيف؟!...

وكان هذا هو السؤال بحق...

كيف؟!...

استخراجها من جثة الرجلين، تطبقت مع رصاصاته، مما يعني انك
ستحاكمين بتهمة القتل العمد.

ثم تجب هذه المرة، وعيناها تتسعين عن آخرهما، مع متابعته:

- والفجر تغرقوا على الرجلين ايضاً، وقالوا: الهما خرجا من سيارتك،

التي قررت بها، عقب فشلهما، والاسوا اننا عثرنا بين ثيليك بالفعل، على

مخطط للعمليات الإرهابية، التي كنتم تعتزمون تنفيذها على ارضنا.

غمضت في حدة:

- لن يمكنني اقتناعك بن (ادهم) هو من نس ذلك المخطط الزائف في

ثيلبي. ولكن كيف قبّلت نفسي ورجالي بعدها؟! ... ألم تلق على نفسك هذا

السؤال؟!...

ابتسم في مخزية قاسية، وهو يقول:

- محاولة بقسوة ولكنها فاشلة، فلقد اعترف (ريو) بلك حاولت قتله، بعد

إحباطه محاولة رجلك القضاء على زبونه. ولقد دافع عن نفسه، وامكنه

التغلب عليك وتقييدك.

صمتت لحظات مبهوّة، ثم الدفقت تقول في حدة:

ومن ارسل ذلك الخطيب في راك؟!...

هز كتفيه، فقل:

- لن يصنع هذا فارقاً كبيراً.

ثم مال نحوها مرة اخرى. وهو يقول بكل الصرامة:

12 - الختام ..

"دكتور (مصطفى) ..."

التفت الدكتور (مصطفى ايمن)، طبيب مستشفى (وادي النيل)، الى مصدر النداء، وارتفع حاجبيه في دهشة، عندما فوجئ بان مصدره مدير المختبرات شخصياً، فهدى يقول في احترام:
- سيادة الوزير.

صافحه الوزير في هدوء، وهو ينظر الى عينيه مباشرة، على نحو جعله يتساعل، في مزيج من القلق والحذر:

- اهي زيارة عادية لتفقد احوال المستشفى يا سيادة الوزير. ام ...

ثم يكمل تسالوه، فينسم الوزير، وهو يقول في هدوء:

- ام ...

ثم جلس على مقعد قريب، و اشار للدكتور (مصطفى) بالجلوس، قبل ان يقول، دون ان يرفع عينيه المتفوسلين عن وجهه:

- كنت اظالع أحد الملفات، عندما توقفت حثراً. امام نقطة تتعلق بك يا

دكتور (مصطفى).

عاد حجب الدكتور مصطفى برقعان، وهو يقول في دهشة قلقة:

- بي أنا؟!

اجابه المدير في هدوء:

- على نحو غير مباشر.

تضاعفت قلق وتوتر الدكتور مصطفى، وهو يغمغم:

- خيراً؟!

اعتدل مدير المختبرات، وهو يقول في اهتمام:

- القضية التي اتحدث عنها، كانت محيرة للغاية، ولكنك نجحنا في كشف

الكثير من غموضها، وعرفت كيف سارت الاحداث فيها، ولكن بقيت امامنا

نقطة واحدة، لم نجد لها تفسيراً مقنع.

ثم ينبس الدكتور (مصطفى) ببنت شفة، وهو يتطلع بكل القلق الى مدير

المختبرات، الذي مال نحوه، متسللاً:

- تماذا اشرت على السيد (قذرى) بالسفر الى (اسوان)، والإقامة في فندق

جزيرة (ايزيس) بالتحديد؟!

حذق الدكتور (مصطفى) في وجهه بكل دهشته، قبل ان يغمم:

- كنت الفذ لوامرك يا سيادة الوزير.

اخفى مدير المختبرات دهشته البائقة، وهو يقول:

- لوامري أنا؟!

بدأ الدكتور (مصطفى) اكثر توتراً، وهو يجيب في انفعال:

- بالتأكيد يا سيادة الوزير... لقد تلقيت اتصالاً هاتفياً من رقم مجهول،

ولقد اعتدت ان تلقى الاتصالات المشببهة من رجال مختبرات، وعندما

"حمداً لله على سلامتكم يا سيّد (قدري)..."

نطقها رجل المخبرات المصري (حلمى)، مضيقاً إليها ابتسامة كبيرة،

فتطلع إليه (قدري) بنظرة خاوية، قبل ان يغمض:

- ماذا عن السيّد (نادر)؟!

نوح (حلمى) بيده، قللاً:

- إنه بخير ... كانت إصابة راسه محدودة، ولكنهم يضعونه تحت

الملاحظة؛ للتأكد من عدم إصابته بارتجاج في المخ.

نهض (قدري)، قللاً في خفوت:

- حمداً لله على سلامته.

استعاد (حلمى) جنيته، وهو يقول:

- لقد احترقت سيارته بالكامل. ولكنكما كنتم خارجها. وعلى مسافة جيدة

منها. بحيث لا تمسك التيران ونحن نتساءل في الواقع، كيف

نجتحت في الخروج من السيارة، على الرغم من ان الأطباء اجزموا بان

(نادر) قد فقد وعيه، مع قوة الصدمة؟!

حاول (قدري) استعادة تلك اللحظات، وهو يغمض:

- لقد اخرج ...

بئر عارته دفعة واحدة، وبنت عليه الحيرة لحظة. قبل ان يكتمها في

تردد:

- شخص ما، ثم اثنين ملامحه جيداً.

اجبت امكنى تمييز صوتك، الذى اعرقه جيداً، وانت تطلب منى ان اشير

على السيّد (قدري) بالاستشفاء فى فندق جزيرة (ايزيس) فى (اسوان)؛

لأنه يمكنكم تأمين وجوده هناك.

تطلع إليه مدير المخبرات فى صمت، حاول ان يخفى به ذلك الانفعال

الجارف، الذى تموج به اعماقه، قبل ان يغمض:

- اذن فقد كانت هذه اوامرى.

اجلجبه الدكتور (مصطفى)، بنفس الانفعال:

- حتم يا سيادة الوزير، ولقد اطعنا دون مناقشة كالمعتاد، وفق لتقواعد

المتبعة هنا.

صمت مدير المخبرات بضع لحظات، وهو يتطلع إليه، ثم لم يلبث ان

غمض:

- هذا يضع القطعة الناقصة من البازل

ظل الدكتور (مصطفى) يتطلع إليه فى تساؤل، حتى نهض المدير، ومنحه

ابتسامة هائلة، وهو يقول:

- معذرة يا دكتور (مصطفى) ... كنت اكمل الصورة فحسب.

وغادر المكان، تركا الدكتور (مصطفى) خلفه، وعياه ما زالت تحملان

الحيرة ...

كل الحيرة .

مال عليه (حلمي)، يسأله في اهتمام:

- اهو قلند تلك السيارة (الهامر)، التي تحدث عنها شهود الواقعة؟!

حذق (قدري) في وجهه لحظات، قبل ان يغمغم:

- لست ادري.

اعتدل (حلمي) يظنّع اليه بضع لحظات في صمت، ثم قال في حزم:

- ما رواه شهود الواقعة، يشير إلى ان تلك السيارة (الهامر) قد انقلبتكما

من موت محقق، عندما ارتطمت بالسيارة التي حاولت قتلكما، والتي

سالت منها كمية كبيرة من الوقود، قبل ان تنفجر، وتشتعل فيها النيران.

بنت حيرة مرتبكة. على وجه (قدري). وهو يغمغم:

- اذكر شيب كهذا.

اشار (حلمي) بيده، مكملاً:

- وبعدها ارتطمت تلك السيارة بخري، ودارت بين ققدها وراكبي السيارة

الاخرى معركة قصيرة، حسم بها قلند (الهامر) الامر، قبل ان يهبط إلى

سيارتكما، قبيل ان تندلع فيها النيران. والمنطق يقول: إنه من اخرجكما

من السيارة قبل اشتعالها.

حاول (قدري) عبث استعادة تلك الذكرى، ثم تم يئس ان هر راسه. وقال

في ارهاق:

- مادمت تقول هذا.

التقط (حلمي) نفساً عميقاً، وهو مازال يظنّع اليه. قيل ان يعاود الحديث،

قتلاً:

- المشكلة ان السيارة وقتلها قد اختفيا تماماً بعدها، ولم تجد الشرطة

الفرنسية لأرقامها اي وجود في سجلاتها الرسمية، ولا حتى في سجلات

الاتحاد الأوروبي كله.

شعر (قدري) بصدايح وحيرة شديدين، فامسك راسه، مغمغماً:

- لست اذكر شيئاً... لا استطع ان اذكر شيئاً.

شعر (حلمي) بالإشفاق، وهو يقول:

- لا عليك سيد (قدري) ... لا ترهق نفسك بمحاولة التذكر؛ فيبدو انك

قد فقتت وعيك مع الحادث، وليس من الطبيعي ان تذكر اية تفاصيل.

ثم ربت على كتفه المكتظة، وهو يضيف بابتسامة هائلة:

- لقد اعدت لك وجبة دسمة شهية، حتى تستعيد نشاطك، قبل ان نذهب

إلى فندقك.

نوح (قدري) بيده، قتلًا في اسي:

- ليست لدى اية شهية للطعام.

ارتفع حاجبا (حلمي) في دهشة، قبل ان يتنسم ابتسامة مشفقة، مغمغماً:

- هذا يتعارض مع شهرتك الاسطورية ب سيد (قدري).

أطلق (قدري) زهرة حارة، وهو يغمغم:

- ما مررت به بتعارض مع كل شيء.

ربت (حلمي) على كتفه مرة أخرى. في اشفاق أكثر، ثم قال:

- ستقضى ليلة واحدة في الفندق، ثم ساصطحبك في طقيرة العاشرة من صباح الغد إلى (القاهرة).

هز (قدري) رأسه، متمماً في خفوت:
- لا يسر.

تمتم بها، وهو يقاوم في شدة دمعة ساحطة، فقلت للفرار من عينه...
لقد فعل كل ما فعل، وواجه كل ما واجه، دون أن يبلغ ما اراد...

ودون أن يحسم مصير (ادهم) و(منى)...

ويكل الأسف...

"التبديل تم مرتين..."

قالت مدير المخابرات العامة المصرية تلقى في حسم، فسأله هذا الأخير
في اهتمام شديد:

- كيف يا سيادة الوزير؟!

أشار المدير بيده، قليلاً:

- في البداية كان (ن-٩) هنا في (مصر)، التي حض إليها بجواز سفر
أحد موظفي مؤسسته في (نيويورك)... ومن هنا بدأ خطته العفوية.

فلتحل صوتي: أيدفع (قدري) تلسفر إلى (اسوان)، وإلى فندق جزيرة

(إيزيس) بالتحديد، والذي التقى فيه بجاره السيد (سالم إبراهيم)، وكان

من الطبيعي، على الرغم من حالته، أن يشير (سالم) إلى امر القرية

النوبية، مم دفع (قدري) للذهاب إليهم... وهناك التقى به (ن-٩)، وهو

ينتحل شخصية (حامد إبراهيم)، الذي هو نفسه (سالم إبراهيم)، وروى له

قصة وهمية، كان واثقاً أن أعدائه سينصتون إليها، بوسيلة أو أخرى،

وهو كرجل مخابرات أكثر من محترف، يعلم الكثير عن تقنيات التتصت

الحديثة.

غمغم نائبه في لهفة:

- هذا صحيح.

تبع مدير المخابرات، دون أن يتوقف عند تعليق نائبه:

- وبعد ذلك سافر (ن-٩)، بجواز سفر (سالم)، إلى (باريس)، الذي علم أن

(قدري) سيسافر إليهم، عقب سماعه تلك القصة الوهمية عن (جوري).

وهناك بدأت اللعبة الحقيقية.

غمغم النائب في اهتمام:

- هل انتحل سيادة العميد شخصية ذلك السائق بالقول؟!

ابتسم المدير، وهو يقول:

- (ن-٩) أكثر ذكاءً من أن يفعل... الذي التقى (قدري)، أمام مطار

(اورلي)، هو (ريو بيتشوني) بالقول، والذي يدين له بالكثير، كما روى هو

بنفسه. ولأن (ن-٩) كان يعلم أن أعدائه سيراقيون (قدري)، فور وصوله

إلى (باريس)، فقد دفع (ريو) إشارة شكوكه، حتى يلجأ (قدرى) إلى التأكيد من حقيقة هويته، ويرصد الكل هذا.

سأله التائب، وقد تضاعف اهتمامه:

- متى حدث التبديل إذن؟!

أشار المدير بسببته وإبهامه، وهو يقول:

- أخبرتك إنه قد حدث مرتين.

ثم تابع فى اهتمام:

- المرة الأولى عندما انفصل (ريو) عن (قدرى)، عند مخيم الفجر ... لقد

حل (ن-1) محله، فى تلك اللحظة، وهو ينتحل شخصيته، وكان هو من

هاجم الرجلين، اللذين حاولا قتل (قدرى)؛ فمن أهم سمات (ن-1)، أنه

يدافع دوماً عن أصدقائه، مهما كان الثمن ... المدهش أنه عندما شك

(قدرى) فى أمره، فى تلك المرحلة، عرض عليه (ن-1) فى ثقة أن يتأكد

من شخصيته مرة أخرى، وكان من الذكاء، بحيث عرض هذا، على نحو

جعل (قدرى) يشعر بسخافة موقفه، فلم يقدم على الأمر.

التقط التائب نفساً عميقاً فى محاولة لتهدئة انفعالاته، قبل أن يقول:

- إذن فالذى خاض مطاردة السيارات كان سيادة العميد!!...

أجابه المدير فى حزم:

- بالضبط

ثم تابع فى اهتمام:

والذى طارد (تيا) ورجليها وسط الأشجار، وفقاً لرواية (تادر)، كان

(ن-1) أيضاً، أما الذى عاد إلى (تادر) و(قدرى) فقد كان (ريو بتشونى)،

فهناك، ووسط الأشجار، تم التبديل الفعلى.

بدأ التائب مبهوراً، إلى حد دفع المدير للاستطراد، قائلًا:

- أتصور أن (تيا) ومن معها، أصيبوا بصدمة كبيرة، عندما فوجئوا

بالسائق الحقيقى أمامهم، مما ساعد (ن-1) على السيطرة عليهم فى

سهولة أكثر، قبل أن يطلب من (ريو) الذهاب، إلى حيث ترك (قدرى)

و(تادر).

قال التائب فى حماس:

- لهذا نأكد الإثنين من شخصية (ريو)، ومن أنه ليس سيادة العميد

متكرراً.

أشار المدير بسببته، قائلًا فى حزم:

- بالضبط ... فقد كان (ريو بتشونى) الحقيقى، والذى ساعده ما تلقاه من

تدريبات، على يد المخابرات السوفيتية، على اتقان دوره، وإن أشار

(تادر) إلى حيرته، عندما شكره (قدرى) على إنقاذه؛ لأنه لم يكن يعرف

بالتفعل ما الذى يتحدث عنه (قدرى) ... أما (ن-1)، فقد بقى مع (تيا)

ورجليها؛ ليتم مهمته الأصلية، التى خطط لكل هذا، حتى يفوز بها.

حمل صوت التائب نغوته، وهو يغمغم:

- أن تدفع (تيا) ثمن ما فعلته بالمقدم (منى).

ابتسم المدير، وهو يقول:

- ولقد كان له ما أراد ... (نيا) محتجزة الآن، في أحد السجون الفرنسية، ذات الإجراءات الأمنية القصوى، وستحاكم بتهمة الإرهاب، وبتهمتي قتل، أثبتتهما كل الأدلة.

صمت التلاب بضع لحظات مبهوراً، قبل أن يقمغم في إعجاب واحترام بالغين:

- من عظيم الخسارة أن يعتزل سيادة العميد العمل.

ابتسم المدير، وهو يقول:

- أمثال (ن-1) لا يعتزلون العمل أبداً.

وصمت لحظة، ثم أضاف وابتسامته تتسع:

- يمكنك اعتبارها إجازة نقاهة طويلة، ولجزم لك بأنه سيعود بكل قوته، فور سماعه الكلمة السحرية.

أطلق تساقول من عيني التلاب، فأنضاف المدير بمنتهى الحزم:

- آمن (مصر).

وعلى الرغم من خبرته الطويلة، شعر تلاب مدير المخابرات المصرية

بقشعريرة عجيبة تسرى في جسده، فور سماعه اسم (مصر)، وشد قامته في وفاة عسكرية صارمة، وهو يقول بكل قوته:

- كلنا هذا الرجل ياسيادة الوزير.

التظر مدير المخابرات، حتى انصرف ثقبه، ثم اخرج من درج مكتبه تلك

الصورة، التي حلتها أجهزة القسم الفني، للمرأة المسنة، التي اصطحبت (أدهم) من مدرسته، في (بئر سبع)، وتطلع إلى وجه تلك الشابة، الذي بدا أسفل تكورها، وغمغم في ارتياح:

- إذن قلت على قيد الحياة.

هذا لأنها كانت، ويكل وضوح، صورة (منى)...

المقدم (منى توفيق)...

شخصياً...

لم يستطع (قدري) كبح تلك الدمعة السالفة، التي تحررت من عينه،

وسالت على وجنته، وهو يعد حقيقته، استعداداً للسفر في الصباح التالي، والعودة إلى الوطن...

كان يشعر بالإحباط لأنه لم يستطع حسم مصير (أدهم) و(منى)...

تلك الذكرى المشوشة في أعماقه، قبل فقدانها الوعي، عقب انقلاب سيارة (تادر)، كانت تؤكد له أنه قد سمع صوت صديقه ...

صوت (أدهم) ...

ولكنه لا يستطيع الجزم بهذا...

على الإطلاق...

وها هو ذا مضطر للعودة إلى الوطن، نون أن يحسم الأمر...

ودون أن يظمن ...

كان غارقاً في مشاعره، عندما سمع طرقات هائلة على باب حجرته،
فأسرع بمسح دموعه، قبل أن يفتح الباب...

ثم تراجع في دهشة ...

فأمامه مباشرة، وقف (ريو) مبتسماً، وهو يحمل نقافة كبيرة، قتلًا:
- بنسوار مسيو (قدرى).

مضت لحظة من الدهشة، قبل أن يغتم (قدرى):

- (ريو) ... كيف علمت بمكالي؟! ... المفترض أن ...

قاطعه (ريو)، وهو ينادي تلك النقافة الكبيرة، قتلًا:

- مسيو (لو جراند) يرسل لك تحيته.

التقط (قدرى) النقافة في تلقية، وهو يسأله في تهفة:

- (لو جراند)؟! ... هل أخبرته أنني أريد أن ألتقي به؟! ...

ابتسم (ريو) ابتسامة كبيرة، وهو يقول:

- عندما يحين الوقت المناسب، سالتقى هو بك مسيو (قدرى).

ثم مال يغمز بعينه، مضيقاً:

- ومدام (لو جراند) أيضاً.

فاتها، ثم اندفع يتصرف في سرعة، قبل أن ينقلى عليه (قدرى) سؤالاً

آخر.

وأنوان وقف (قدرى) أمام باب حجرته المفتوح، وهو يحمل تلك النقافة

الكبيرة، قبل أن يدفع الباب بقدمه، ثم يضع النقافة على المائدة ويفتحها،
فالتبعت منها رائحة شهية، وسقطت منها بطاقة مثقولة، أسرع يلتقطها،
وينقلى نظرة عليها...

وانقض جسده بكل قوته...

فالبطاقة كانت تحمل كلمات قليلة، بخط يعرفه جيداً...
كلمات تقول:

- اشتقا إليك كثيراً يا صديقنا العزيز... سنلتقى قريباً بإذن الله ... مع

تحيات الزوجين (كازانسكى) ... ملحوظة: (آدم) الصغير يرسل إليك

تحياته أيضاً، فهو مبهور بما نروييه له عنك ... شهية طيبة.

حذق في الكلمات، وجسده كله ينتفض الفعلاً، وقلبه يخفق بكل قوته، قبل

أن يصرخ بكل سعادة الدنيا:

- إلهما على قيد الحياة ... إلهما سالمين وعلى قيد الحياة.

وبكل جسده الضخم، راح يرقص في حجرته، وهو يطلق ضحكات عالية،

قبل أن يتدفع نحو ذلك الطعام الشهى، الذى حوته تلك النقافة الكبيرة.

هتافاً:

- مازلت تذكرين ذوقى فى الطعام يا عزيزتى الغالية (منى).

ولأول مرة، منذ ما يزيد عن أربعة أشهر، راح يلتهم ما أمامه من طعام ..

وبكل شهية الدنيا...

وكل سعادة الدنيا....

كلها.

* * *

((تمت بحمد الله))

